كتاب الهلال

مدرسة الشيطان

تأليف
توفيق الحكيم



سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٥٦ ربيع أول ١٣٧٥ ـ نوفمبر ١٩٥٥

No. 56 — November 1955

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

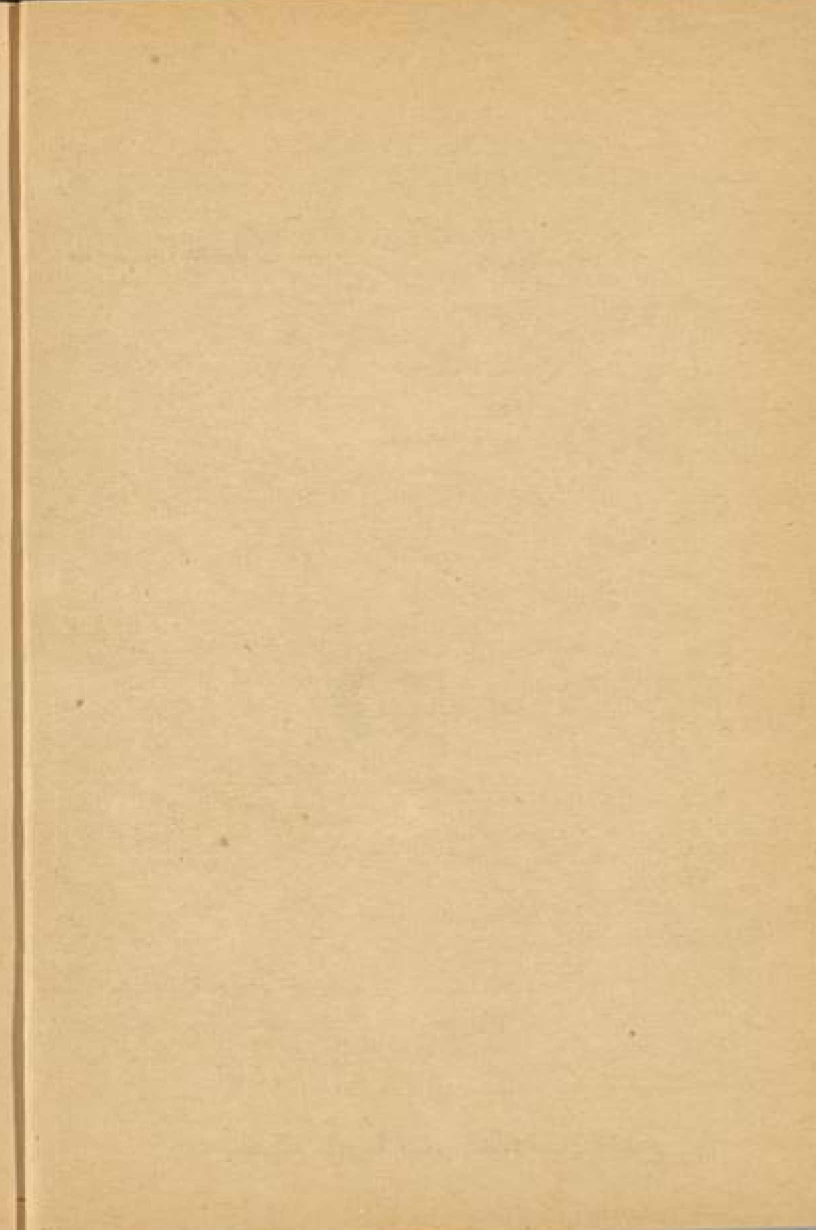
الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا او لبنانيا ـ الحجاز والعراق والاردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ـ فى سائر انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا او ٣٠/٩ شلنا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع



مدرسة الشيطان

تأليف

توفيق الحكيم

مقدمة

بقلم المؤلف

المقصود بالشيطان فى هذا الكتاب هو بالطبع « شيطان الفن » . اى تلك القوة الخفية التى تسيطر على رجل الفن فى فترة من فترات حياته ، فتركز كل تفكيره وشعوره فى روح الخلق الفنى .. شانه فى ذلك شان رجل الدين الذى تسيطر عليه قوة الروح الدينية فتركز كل تفكيره وشعوره فى جوهر الخالق السرمدى

كلاهما يصبح متصوفا ...

وفترة التصوف الفنى التى يمر بهـــا الفنان ضرورية لتكوينه ، لانها امتحان لاخلاصه لفنه ، ولو على حساب نفسه ، لانه فى هذه الفترة يخضع كل وجوده للفن .. ويصبح تقديسه للفن طاغيا على كل شىء ، حتى على الحب ، وحتى على السعادة ...

فلا يستغرب قارىء مايجد فى هذه الصفحات من انهزام الحب والسعادة امام شيطان الفن ، فتلك فترة

التصوف الفنى .. تلك الفترة التى يؤمن فيها الفنان بالفن ويشك فيما عداه ، حتى فى نفسه . فهو متشكك فى قيمة آثاره ، ساخر من اشخاص قصصه

وقد تسبق هذه الفترة مراحل الانتاج الفعلى ، ومراحل الاتجاهات الفنية من ذهنية واجتماعية ، وقد تعقبها ، دون ان يكون لها صلة تذكر بما تقدم او تأخر

فالأمر هنا متصل بروح الخلق ، لا بنتائجه ولا بتطبيقاته أو استخداماته

انه نوع من المناجاة الخاصة أو التسبيح الشخصى بجوهر الفن اى روح الخلق الفنى

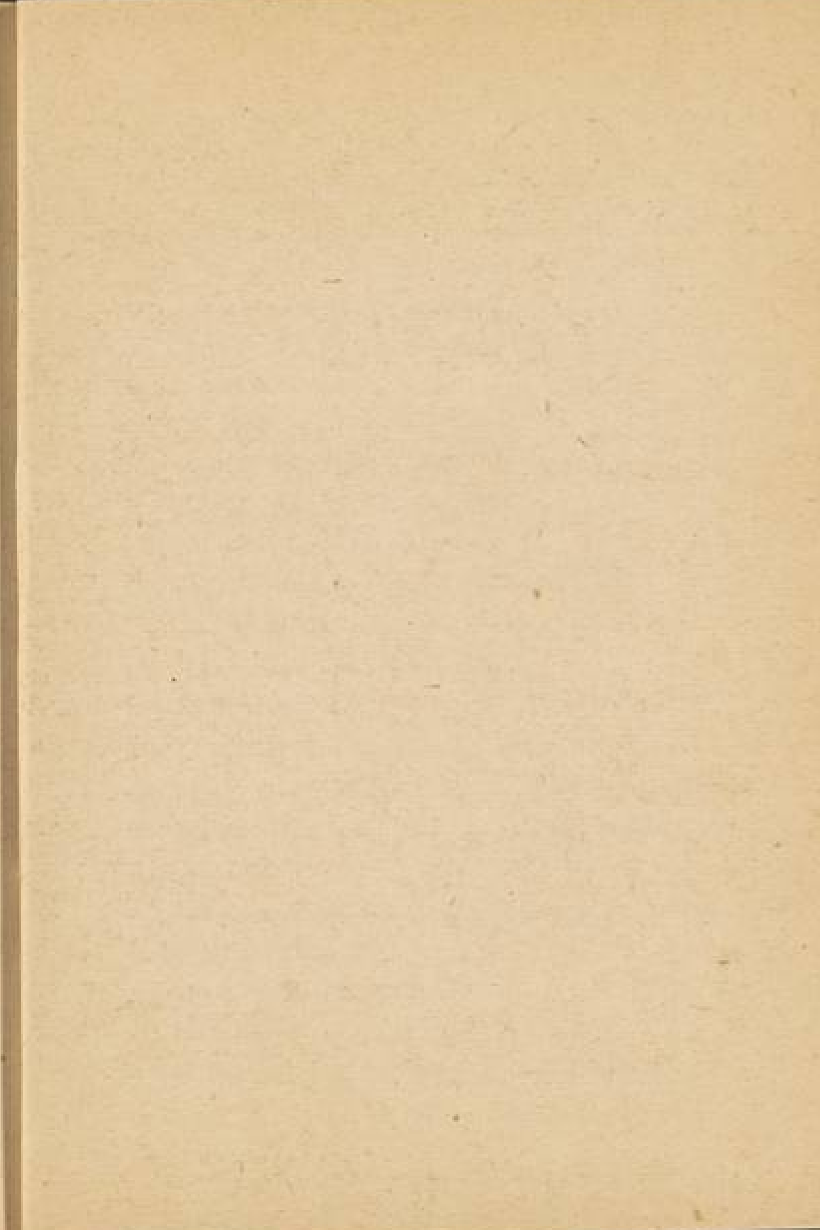
توفيق الحكيم



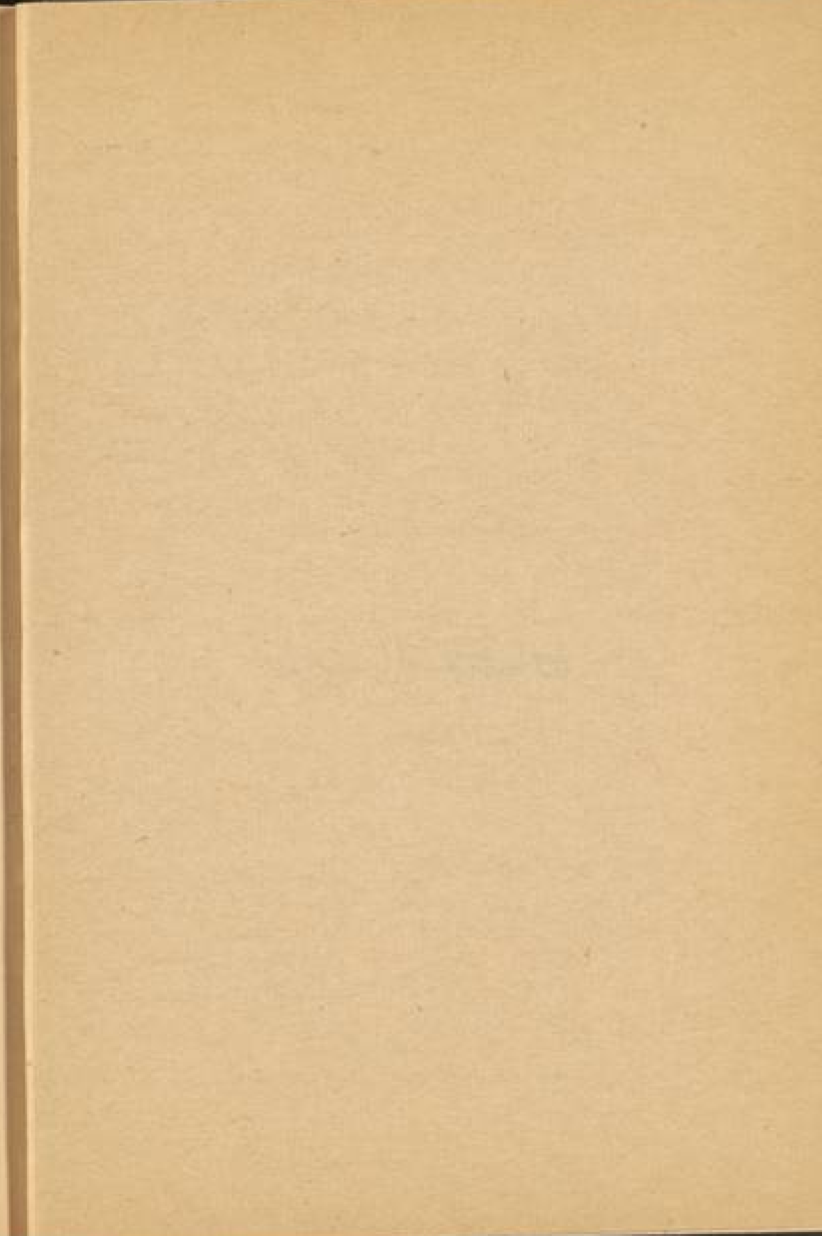
إلى الشيطان

ـ يا شيطان الفن ! لقد منحتك كل شيء
كل قطرة من قطرات دمي هي لك
وكل خلجة من خلجات نفسي هي لك
فان ظفرت بساعة من ساعات الهناء فهي لك
وان نمت فانت ملك على عرش احلامي
وان افقت فانت المالك لزمام أيامي
شبحك لا يذهب عني في اي زمان ولا اي مكان
انك لا تتركني الا وقد صرعني المرض
ولم يبق في رأسي الكليل ولا جسمي النحيل شيء تأخذه
فاذا فتحت بعدئذ عيني قليلا وبدرت بادرة يقظة
فهي أيضا لك
يا شيطان الفن ! لقد اخذت مني كل شيء
فماذا اعطيتني انت ؟ !
ـ أعطيتك لذة « الخلق » . .!
تلك اللذة التي لا يعرفها غير اله !..

(ت ٠ ١ ٠)



حديث الشيطان



وقع ذلك الحدث الذى ارويه فى ليلة من ليالى الشتاء فى منتصف الليل .. فى تلك الساعة الرهيبة التى اجمعت الاساطير على ان فيها يحدث كل جلل من الامر . وكنت جالسا الى مكتبى اقرأ تحت نور ضئيل . وقد تكدست امامى كتب يعلوها التراب . وكان الكتاب المفتوح بين يدى قصة « فوست » ، وكنت قد بلغت منها تلك الصفحات التى يجلس فيها العالم الشيخ بين كتبه فى احدى الليالى وقد تهدل شعره الابيض على منكبيه وهو قانط من العلم ، راغب عن الحياة التى لم تمنحه من المعرفة ما كان يحسب ان فى مقدورها ان تعطيه البشر . وقد جلس يحصى على نفسه تلك الثمانين من الاعوام التى عاشها . ماذا صنع فيها ؟ وماذا ربح ؟ انه لم يعرف الشباب قط . ولم يدخل قلبه ذلك الفرح بالحياة قط . ولم تدرك نفسه معنى الطمانينة والابتسام . حتى فى ذلك الزمن الجميل يوم كان خلانه يقولون « الحب » كان هو يقول « المعرفة » ولقد جد حقيقة فى سبيلها واحاط بكل ما سمح لعقل انسان ان يحيط به . لقد اعطى العلم كل حياته . والآن وقد اوشكت تلك الحياة ان تذهب ، الآن وهو فى طريق الاوبة الى ذلك المكان المجهول الذى جاء منه (لو ان فى الامكان ان نسميه

مكانا !) الا تراه عائدا اليه بصفقة المغبون ؟ ! اما العلم فانه الآن يسخر منه بقدر ما يسخر هو من نفسه ، اذ اضاع من اجله حياة كاملة فيها اشياء كثيرة غير العلم . انه خارج من الحياة ولم يحمل زهرة ولم يستنشق عبيرا من ذلك البستان الفاتن باشجاره وانهاره ووروده وغزلانه . انه لم يملأ قلبه بشيء . وانما قد ملأ راسه بكلام كثير سوف ياكله الدود ، كما قال « هايني » ، مع ما سوف ياكل من لحم تلك الجمجمة الكبيرة ..

كل هذه الخواطر كانت تدور فى خلد العالم « فوست » وهو جالس أمام كتاب فى علم الفلك تحت نور ضئيل فى حجرة كالقبو من حجرات القرون الوسطى . ولم يكن حوله غير كتب مكدسة يعلوها التراب وغير سكون مطبق مخيف . ولم يكن بالمكان احد . ومع ذلك فقد سرت فى جسم العالم المتهدم رعدة . اذ شعر انه ليس وحده فى المكان . فتردد قليلا ثم استدار بعينيه المتطفئتين يبحث فى اركان الحجرة : فلم يجد احدا غير ظلال نور المصباح تتلاحق فوق الحائط القاتم كالأشباح اللاعبة . فتملكه خوف لم يدر سببه ... ووضع وجهه فى كتابه يحاول القراءة ويلتمس فيها هدوء الخاطر . واذا صوت هامس يلقى فى اذنه :

– فوست ! فوست ! لقد سمعت ما دار فى نفسك !

فجمد الدم فى عروق الشيخ واستطرد الصوت :

– لا تخف . الا تعرف من انا ؟

لم يحر العالم جوابا ولم يجرؤ على الحركة وظل فى جلسته كتمثال من الشمع

فاستأنف الصوت :

ـ انا الذى يستطيع ان يمنحك ما تطلب . . .

هنا دبت القوة فى نفس الشيخ ، وزال عنه الخوف والتفت الى مكان الصوت فابصر وجها غريب السحنة لا يشبه وجوه البشر ، يبسم له ابتسامة عجيبة . ولم يجد لهذا الوجه جسما ، فقد كان محاطا بالظلام . وتمالك الشيخ وتحامل ثم قال فى صوت واجف :

ـ من انت ؟

فنظر اليه الوجه نظرة ثانية واجاب :

ـ وهل يعنيك كثيرا ان تعرف من انا ؟

ـ من انت ؟

ـ دائما تريد ان تعرف . دائما حب المعرفة !.. ايها الأحمق الفانى !.. اما يكفيك انى اعطيك ما تطلب ؟ كل ما تطلب ؟

ـ من انت ؟

ـ الشيطان

دهش العالم ونظر الى الوجه من جديد ، فالفاه يبسم تلك الابتسامة التى لا تتغير . فردد فى بطء ، وهمس كانما يخاطب نفسه :

ـ الشيطان . .

ودنا الوجه قليلا من الشيخ وقال فى نبرة لطيفة :

ـ اتخافنى ؟
ـ الشيطان ...
ـ لا تخف ، انتظر
وفى الحال ابصر الشيخ ذراعين وقدمين وبقايا جسم آدمى تأتى طائرة طائعة من انحاء الحجرة المختلفة وتلتصق بالوجه حتى صار انسانا ، وتغير الوجه فصار كوجوه البشر ، ومد ذلك الانسان يده الى كرسى بجانب الشيخ ، وجلس وهو يقول كالمخاطب لنفسه : « ها انذا انسان مثلك ، ينبغى ان اكون انسانا مثلك حتى تفهمنى ، انك ايها الانسان لا ترى الا من كان على صورتك ! انى فى خدمتك »
هدأ روع العالم قليلا ، وتذكر ما كان فيه منذ لحظة من ضيق بنفسه ، وتبرم بحياته ، فاهتز فى مقعده وصاح :
ـ ايها الشيطان ، اعطنى .. اعطنى ..
ـ اطلب ما شئت
ـ الشباب
لفظها الشيخ الفانى من اعماق قلبه المتداعى ...
فاجاب الشيطان فى تؤدة :
ـ لك ما طلبت . ولكن ... ما تعطينى أنت فى مقابل هذا ؟ ان الشيطان لا يعطى لوجه الله !
فقال الشيخ من فوره :
ـ اعطيك العلم .. كل ذلك العلم الذى اكتنزته مدى ثمانين عاما
فقهقه الشيطان :

ـ لا حاجة بى الى هذه البضاعة . علمك لا ينفعنى .. انى اريد منك شيئا آخر

ـ ماذا ؟

ـ نفسك

فلم يتردد الشيخ :

ـ هى لك

عندئذ اسرع الشيطان ومد يده فى الهواء والتقط قرطاسا نشره تحت المصباح وتناول ذراع الشيخ ، ففزع الشيخ :

ـ ماذا تصنع ؟

ـ لا تفزع من شىء . اريد قليلا من دمك تكتب لى به صكا على هذا القرطاس . هو عهد بينى وبينك : اعطيك الشباب وتعطينى نفسك ...

فاذعن الشيخ وكتب العهد بدمه ، وتناول الشيطان العهد المكتوب ، ورفع يده فى الهواء ، وعاد فوضعها على جسم الشيخ ، فاذا شيخوخته تزول عنه كما تزول الاوراق الذابلة عن الشجرة الفتية . واذا العالم الهرم قد انقلب فتى فى العشرين جميل الطلعة بسام المحيا ، مفعم النفس بالسرور ، متوثب القلب للحب ...

▭

لم اكد انتهى الى هذا الموقف من قصة « فوست » حتى طرحت الكتاب وهمت فى وادى التأملات ...

كان الذى يملك على لبى فى ذلك الوقت هو حب «المعرفة».

كانت كل احلامى ان افتح فى كل صباح نافذة تطل على عالم مجهول من عوالم هذا الكون السابح فى بحار الأسرار . كان يكشف لعينى المستطلعة جديدا هو الخليق عندى ان اعطيه ما شاء من نفسى . فى تلك الليلة صحت فى الحجرة :

ـ أيها الشيطان ! ايها الشيطان ! ابرز الى وخذ منى ما تشاء واعطنى ما اريد

ولم يبرز الى بالطبع احد . ولم تنشق الجدران ولم تكن الصيحة التى لفظتها الا صوتا مدويا داخل نفسى ، وهو فى الحقيقة همسة لم يبلغ صداها باب الحجرة ، على انى ما لبثت ان رحت فى شبه اغفاءة ، نصب فيها الخيال مسرحا ، واذا الشيطان فى ملابس « مفستو » الحمراء ، ويده على مقبض سيفه ، والابتسامة الخبيثة الساخرة على شفتيه وهو ينظر الى قائلا :

ـ اناديتنى ؟

فهمست :

ـ نعم

ـ ماذا تريد منى ؟

ـ المعرفة

فضحك ضحكة عالية طويلة ، اهتزت لها الريشة القائمة على قرنه :

ـ هل تدرك مدى هذه الكلمة ؟

ففطنت الى مراده وصحت مستدركا :

ـ نعم . نعم . ادرك انك انت كذلك لا تحيط علما بمدى هذه الكلمة . انى ما اردت منك المستحيل . وما قصدت ان تعطينى « المعرفة » ذاتها . انما اردت ان تمنحنى « حب المعرفة » . اريد ان تعطينى ما اخذت من « فوست » . اعطنى « نفس » فوست التى اخذتها منه . اريد ان تكون لى نفس « فوست » او نفس « جوته » !

ـ وماذا تعطينى انت فى مقابل هذا ؟

ـ كل ما تطلب

ـ الشباب

ـ هو لك

قلتها فى غير تردد . فنظر الى « مفستو » نظرة طويلة ، نظرة العجب او الاشفاق ـ لو ان الشيطان يشفق احيانا ـ او نظرة التاجر الماكر لصفقة خاسرة وقعت من غر قاصر ، وقال :

ـ سوف تندم

ـ ابدا

ـ افهم ان يبذل كل غال فى سبيل « الشباب » . اما ان « الشباب » هو الذى يبذل . . . اسمع نصحى ايها الفتى . انى لم اعتد اخلاص النصح لاحد . ولكنى اقول لك : لا شىء فى الوجود يعوض الشباب !

ـ المعرفة ، المعرفة ، المعرفة

فضحك الشيطان ضحكة صغيرة هازئة ، وقال كالمخاطب لنفسه :

ـ كان فوست يقول ذلك ايضا فى صباه !

فقلت فى تحمس اعمى :

ـ حب المعرفة هو شباب العقل ، هو الشباب الأبدى ، هو السمو الانسانى الذى سجدت له الملائكة الا انت ، ايها المتطاول على عرش فكرنا النورانى !

ـ عرش فكركم النورانى ! ماذا اقول لهذا الفتى ؟

ـ انى اعرفك وابغضك ، انك هنا على هذه الارض لاعمل لك الا ان تطفىء هذه المصابيح العظيمة التى تزين هاماتنا ، ان فى يدك عصا طويلة كتلك التى كان يحملها « عفاريت الليل » يطفئون بها فى مطلع الفجر « مصابيح الغاز » فى الطرقات

ـ ما اسخف مصابيح الغاز !

ـ نعم ، ولقد ذهب عهدها بظهور الكهرباء ، واختفت معها « عفاريت الليل » بعصيها . انت ايضا قد آن لك اليوم ان تختفى بسيفك وريشتك ، فما من احد يرضى اليوم ان يبيع « مصباحه » من اجل شىء

ـ لقد باع « فوست » مصباحه من اجل فتاة

ـ كان ذلك مصباحا من الغاز

ـ من الغاز او من الكهرباء ، النور دائما هو النور !

ـ يا عدو النور . اعطنى النور وخذ منى ما تشاء

فقال الشيطان :

ـ O.K.

(كما يقول الامريكان اليوم . لأن الشيطان يعرف دائما كيف يتكلم بلغة العصر)

وخلع قلنسوته ومسح بهـا الارض بين يدى اغراقا فى التحية على طريقـة فرسان اسكندر دوماس ، وتحـرك للانصراف ، فاستوقفته :

ـ الا تكتب عقدا ؟

ـ لا ضرورة منك للعقود والعهود . انى واثق بشرفك

ـ ولكنى انا . . معذرة . . انى لا اثق بشرفك

ـ جربنى هذه المرة

وانحنى لى انحناءة كبيرة ثم اختفى

□

مضى على تلك الليلة ثلاثة عشر عاما التهمت فيها الكتب التهاما واحطت بمختلف العلوم والفنون علمـا وعشت مع الفلاسفة والأدباء والموسيقيين والمصورين واحببت فيهـا « المعرفة » حبا كالجنون . فلم اكن اطيق صبرا على جهل فرع من فروعها . وكنت احيـانا لا أملك من النقود غير الضرورى لاكلى بقية الشهر واصادف فى واجهـة الحانوت كتابا او كتابين ، فما احجم ، وادفع فيهما ما معى ، واتبلغ طول ايامى بمرق الأرز ونقيع الشاى . وذهب بى الجنون الى حد الرغبة فى الاطلاع على ما لا لزوم لاطلاع اديب عليه . فنظرت فى كتب الفلك والعلوم الروحانية والرياضيات العليا . وكانت ايام راحتى تنفق فى هياكل الفن ومتاحف التـاريخ الطبيعى ودور الكتب والآثار . وكانت لى جلسـات طويلة

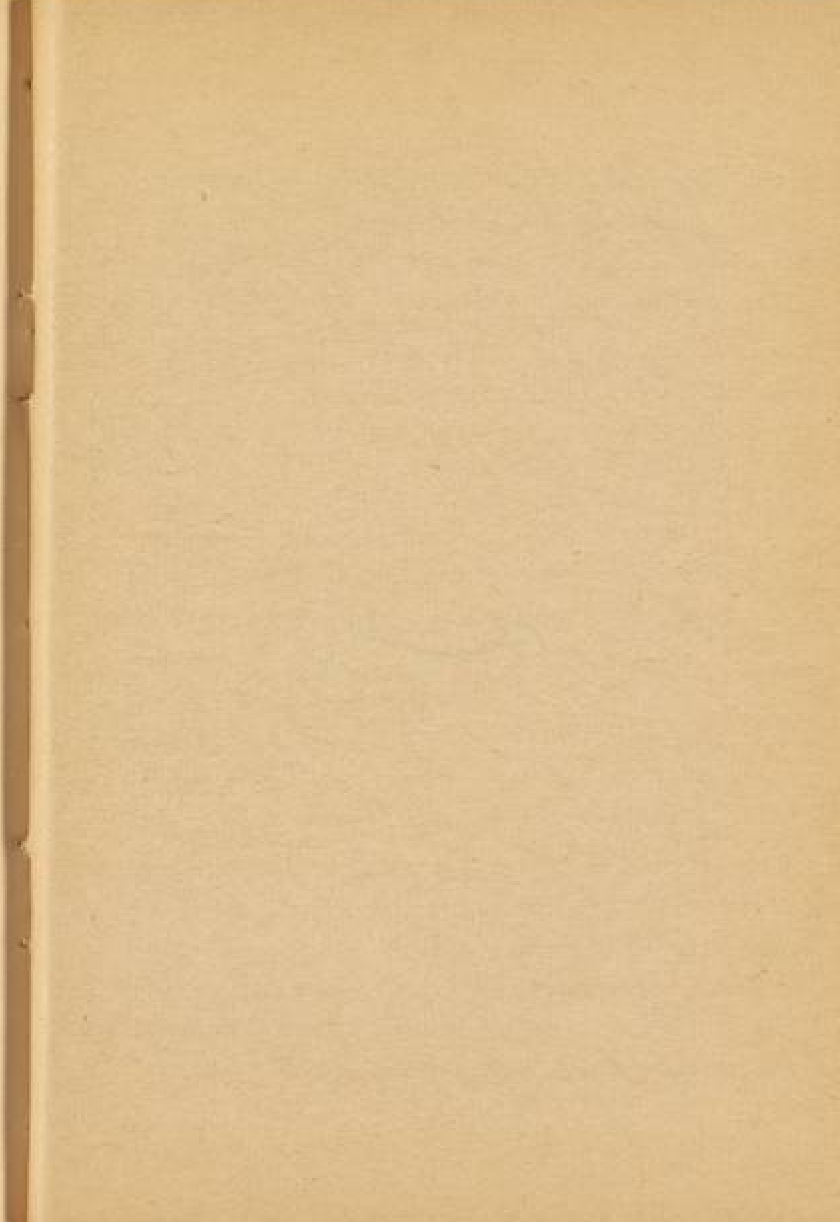
فى ركن قهوة صغيرة منفردة آوى اليها وحيدا أفكر ست ساعات او سبعا متتالية فى مسائل عويصـــة من مسائل الفلسفة المطلقة ، او قضـــايا الفكر ، او مشاكل العـالم السياسية والاجتماعية والاقتصـادية ، ولـكم هدمت فى راسى مدنيات واقمت بدلها حضارات خيالية ذات نظم مثالية على نحو ما فعل افلاطون وتوماس مور . ولكم الحدت ثم آمنت وضللت ثم اهتديت . ولكم كتبت ومزقت . ولـكم جهدت فى سبيل تلك اللذة العليا التى حسبتها غاية الانسان التى ليست بعدها غاية . ولقد همت بالنور وعشت حول النور حتى احسست ان جسمى يرق وان لنفسى اجنحة كاجنحة الفراش . ولقد صرت كالهواء او كالملائكة اسهر الليل سابحا فى أجواء الفكر فوق كتاب مفتوح تحت مصباح مضىء ، حتى اذا جاء الصباح رقدت وهربت من النـاس والضجيج ، الى ان نبهتنى آخر الامر خادم عجوز قائلة :

ــ حياتك هذه ليست حياة . انظر الى وجهك فى المرآة !

فنظرت مليا فى مرآة خزانة الملابس فارتعت . ما كل هذه التجاعيد حول عينى . وما هــذا الظهر الذى تقوس وانحنى . وما هذا النحول وهذا الشحوب .. أتراني قد نسيت جسمى طول هذه الأعوام ؟ أم تراه الشيطان قد تقاضى الثمن دون ان اعلم ؟ وهالنى منظــرى وانا اضع اصبعى على تلك الخطوط المخيفة على صفحة وجهى كانها صك بزوال زهرة الحياة الى الأبد ؛ فما تمالكت ان صحت :

ــ الشباب . الشباب . لقد اخذ الشباب !

فى المنام



اذا سكن الليل ، ورقد الناس ، وهدات الكائنات ، قام هو فى خفة الطائر ، ورقة النسيم ، ينسج قصصه العجيبة ، بانامل لا يعرف وصفها انسان . ذلك هو الحلم . فنان حاذق ياتى احيانا بالمعجزات فى رؤوس النائمين

وهو ككل فنان محترف كتب عليه الانتاج فى كل ليلة ، لايبرا من الاسفاف ، ولا يستطيع ان يجيد كل حين . فهو لا يخرج دائما فى كل الرؤوس آيات متناسقة البناء شيقة الحوادث مستقيمة التفكير . انه هو ايضا ضحية « الروتين » الذى يقتل الفنانين . لكنه اذا ابدع اوحى . وانى لاعرف كتابا يستلهمون الحلم . وانى لاذكر خبر كاتب روسى او مجرى كان ياكل قبل النوم حتى الكظة طالبا التخمة راغبا فى الكابوس يصور له من الحوادث المخيفة ما ينفعه فى استنباط قصة . اما انا فابغض الكابوس ولا اريده ، ولو الهمنى خير القصص . فان لحظة اقضيها فى جوه الخانق لاشق على نفسى من الجحيم . غير انى لا انسى رؤيا منسجمة الفكرة متصلة الخيوط ، رايتها ذات ليلة . فاستطاعت ان تشغل بالى فى الصباح ، وان تقبضنى على القلم ، وان تستكتبنى هذه السطور :

رايت انى معها فى حجرة واحدة . اما هى ففادة

حسناء . ذلك النوع من الحسن الذى احبه . ولست ادرى كيف عرف الحلم ذوقى فاختار لى مثل هذه المراة ! جلسنا معا وهى فى ثوب اخضر خفيف . وكان بيننا حبا قديما ، والحلم خير من يلعب بالزمن كما يلعب المصور بالالوان . فلم نكن نعيش ، انا وهى ، الا فى ثوان ، لكنها كالاعوام . لها ماض وذكريات . يحيط بنا اطار مصنوع من جوهر لا ادرى ما هو ، لعله ما يسمونه « السعادة » . وفجاة طرق علينا الباب . وظهرت خادم تعلن فى صوت خافت ان زوج الفاتنة قادم . هرج واضطراب وقعا فى الحجرة : فقفزت انا من مكانى ابحث عن حذائى . ونهضت هى فى سرعة الريم الى المرآة تصلح من شانها . وتملكنى الوهم وحرج الموقف فعجزت عن ادخال قدمى فى الحذاء ، ورات هى ما انا فيه . فصاحت بى :

ـ عجل بالخروج !

ـ لا احب الى نفسى الآن من الخروج سالما . لكن الحذاء ...

ـ الا تريد أن تنصرف ؟

ـ حافيا ؟ هذا لا يجوز . وهل انت ترضين لى الخروج على هذه الحال ؟

فلم تجب وجذبتنى من ثيابى ، ودفعتنى الى الباب ، فخرجت احمل حذائى فى يدى . واذا انا ـ وجها لوجه ـ امام رجل وسيم الطلعة انيق الهيئةحيانى باسما فارتجفت

ونظرت الى عينيه ، فلم ار فيهما غضبا ولا سخرية . واشار لى فى كياسة ان اضع الحذاء فى قدمى على مهل . فقلت متلعثم اللسان :

ـ اشكرك يا سيدى على هذا اللطف . . .

وحاولت ان افعل ما اراد فلم استطع ، فلقد حرن الحذاء مرة اخرى ، وابى ان يلين لتوسلاتى الحارة ولعرقى المتصبب فى هذا الظرف المؤلم . وخرجت « الحسناء » زاهية كالقمر ، فما ان رات الرجل ، والرجل رآها ، حتى وقع احدهما فى احضان الآخر ، وقبلات . .

وشعرت فى اعماق نفسى وقتئذ انى لا اصلح للبس الحذاء ولا للانصراف ، ولا لصنع شىء فى هذا الوجود ! فجلست القرفصاء انظر واسمع ولا ادرى لى مصيرا . وفرغا من القبل ولكنهما ظلا متعانقين وهى تقول له :

ـ اهذا شغفك بى ؟! مضى عام دون ان اسمع عنك خبرا ! . .

ـ الا تعرفين ما حدث ؟ لقد امسينا من اصحاب الملايين

ـ ملايين ؟! كيف ؟ كيف ؟ اخبرنى ! . .

ـ انا الآن « مليونير »

ـ اتقول حقا ؟ وافرحتاه ! تعال فقص على كل ما حدث منذ ان تركتنى وسافرت الى تلك البلاد النائية !

وتناولت يده ، تقوده الى الحجرة ، فعثرت قدمها

الصغيرة بشخصى الحقير ، ولم يزل موضوعا الى جانب الحذاء . لكن اى حذاء . انى فيلسوف . كما ان هـذا الرجل المحترم ، زوجا كان أو غير زوج ، فيلسوف هو ايضا فيما يبدو لى . ذلك انى لم اكد اسمع ان الرجل صاحب ملايين حتى ادركت ان لا محل الساعة للبكاء على حب! ورنت فى اذنى تلك اللحظة كلمة هائلة ضاحكة : « الذهب » ! كما رنت ولاريب فى قلب الحسناء فنسيت كل شىء . وصرت فى نظرها ، انا وحذائى على عتبة الباب ، كائنين متساويين ! نسيت كل شىء وشيكا ، لان « الذهب » كلمة جليلة عظيمة . لها صوت مدو مهيب كصوت حوافر جياد مطهمة على ارض من الرخام الأصفر ... كلمة كالدخان السحرى ترى خلالها القصور والعروش والحلى والتيجان ! ونسيت انا ايضا كل شىء كان ويكون . حتى ما انا فيه من ذل وتعس . كما نسيت ان انهض من الارض وان ارفع يدى عن حذائى الذى لم يوضع فى قدمى ولن يوضع . ومرا بى هذان السعيدان . فى حرص واحتياط حتى لا يعثرا بى فى طريقهما الى الحجرة . فقلت فى ادب واخلاص :

ـ دوسا ، لا مانع عندى مطلقا من ان تدوسا !

واستحوذت على مشاعر غريبة . لستاعلم لها اسما بين مشاعر الناس . فلم البث ان تقدمت نحو الرجل وقلت له فى احترام عميق :

ـ لقد اشرق النور فى هذا البيت مذ حللتم به . وان

سيدتى كانت شديدة القلق كثيرة الهم لغيبتكم الطويلة حتى اسعدها الله أخيرا باوبتكم الظافرة الميمونة

فالتفت الى الرجل فى استغراب خفيف . ولكن الدهشة كلها كانت دهشة المراة . ولم امهلها حتى تفيق . فوجهت اليها من فورى الخطاب :

ــ أما كنت ياسيدتى تذكرينه دائما فى شوق ولوعة ؟ ها هو ذا قد عاد ولا ينقصكما الآن الا خلوة تتبادلان فيها رقيق العتاب ، حتى تصفو القلوب ويتصل بينكما ما انقطع بطول الفراق

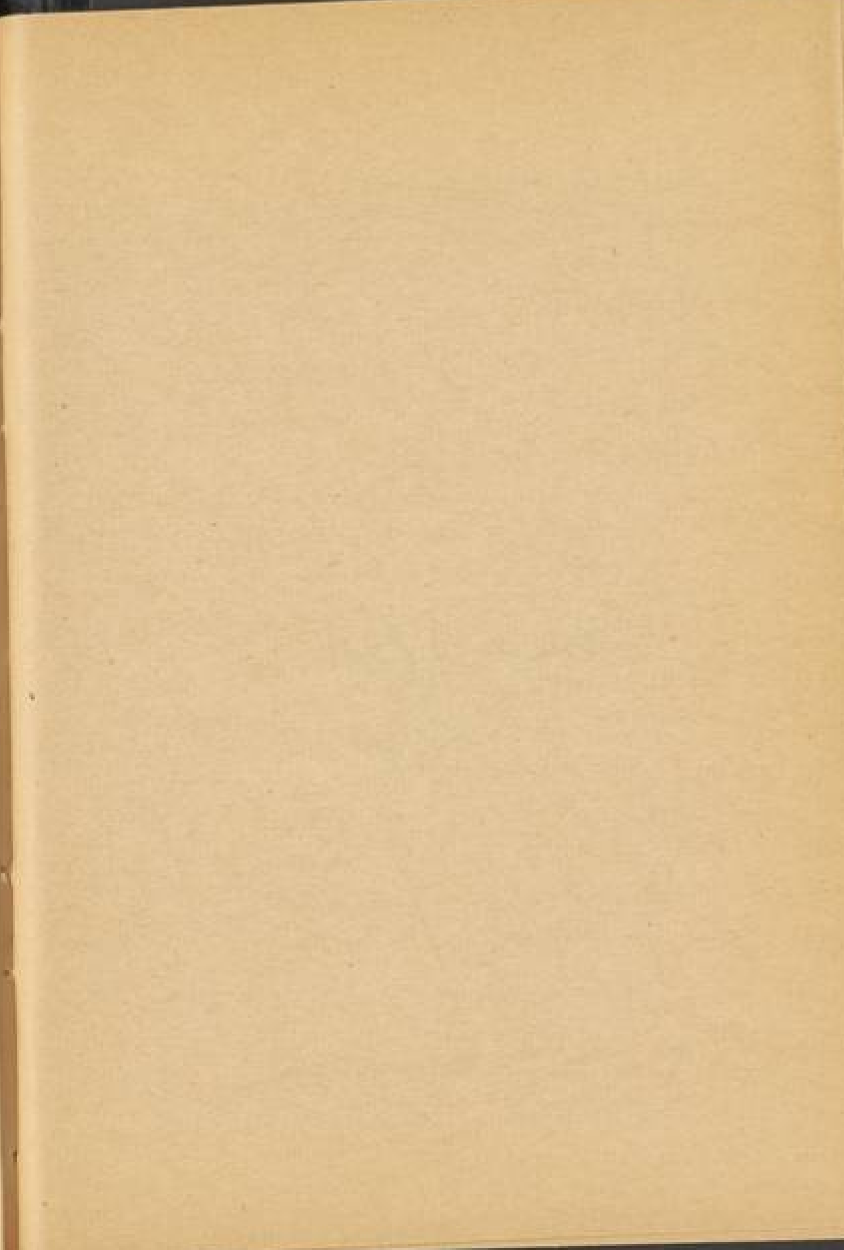
وانتظرت ان احظى منها بجواب . فلم الق الا سكوتا باردا ونظرات فاترة . وتحركا آخر الامر نحو الحجرة ودخلاها واغلقا عليهما من دونى الباب . وانا واقف جامد . وكانى لا اعيش . وثبت الى نفسى قليلا . فاذا عرق يسيل من كل بدنى . لماذا صنعت هذا وقلت هذا ؟ وهل سالنى واحد منهما ان اكون لهما رسول سلام ؟ وهل هما فى حاجة الى، حتى يدخل قلبيهما الصفاء ؟ ومن قال انهما كانا غاضبين ؟ انهما الآن مثل كل متحابين مؤتلفين لا يطلبان الى أحد ان يمشى بينهما بخير او بشر . ينبغى ان افهم الآن انى قد طردت من الفردوس حافى القدمين ..

وانتهى الحلم من تاليف قصته ، وسكت عن الكلام المباح وقد ادركه الصباح . واستيقظت فوجدت انى حقيقة عارى الاقدام وقد سقط اللحاف عنى . ولكن

ستار النسيان لم يسدل فى راسى على الرواية . فقد تركت فى نفسى اثرا عميقا . وطفقت اقول : « حتى الحلم ، ذلك الفنان البارع ، لا يملك لمثلى من ذلك الجوهر الطيار الذى يقال له : « السعادة » غير مقدار قليل لا يشفى الغليل » ! ..



"راديوم" السعادة



استعرضت فى راسى البارحة شريطا ذا الوان من ذكريات الماضى . اما الالوان فكانت خضرة داكنة لاشجار الزيزفون والكستناء المحيطة بذلك الوكر الجميل المسمى « أورياج » ، القته يد الطبيعة فى بطن واد سحيق من وديان « الالب » ، ليذكر البشر بالفردوس المفقود

ولقد هبطت هذه الجنة فى شهر اغسطس عام ١٩٣٨ احمل حقيبة واحدة ، فيها « بذلة » واحدة وكتاب واحد : هو « العقد الفريد » لابن عبد ربه بكامل أجزائه

ولم تكن الحقيبة تتسع لغير هذا الثوب وهذا الكتاب ، ولم يكن شيء ابغض الى نفسى فى الاسفار من كثرة الحقائب ، فطال ترددى وانا اتجهز للسفر : أاحمل « بذلة » اخرى واترك « ابن عبد ربه » ؟ واستقر عزمى آخر الامر على ايثار « الزميل » اعبر به البحار والجبال ، واصطحبه الى بلاد لم تطأها قدمه ، واريه مناظر لم ترها عينه ، فللأديب على الاديب حق ، وليس من الوفاء حرمان ابن عبد ربه مثل هذه النزهة . فنبذت الثياب واخذت الاديب ، وانطلقنا . .

▭

بلغنا جنة « اورياج » ، ونزلنا فندق « الروض » وهو

بناء جميل اقيم على بساط من العشب ، قد اضطجعت عليه حور من الفرنسيات يتحدثن فى ظل الاغصان المدلاة الى ولدان وفتيان ، أو يصغين الى انغام موسيقى يحملها النسيم ، تعزفها فرقة فى شبه ميدان وسط المصيف

وكانت مائدة طعامى بالفندق فى طرف ناء ، فلقد احتل من نزل قبلى الافاريز المشرفة على المناظر الرائعة ، ولكنى لم احرم مع ذلك منظر مائدة الى جوارى جلس اليها فتى وفتاة ، قيل لى انهما تزوجا حديثا

لقد كانا زهرتين ناضرتين فى باقة « فندق الروض » . وكنت انا دائما وحدى ، ليس معى من رفيق غير « ابن عبد ربه » وقد وضعته امامى فوق المائدة الى جانب زجاجة « الفيشى »

نعم ، لم يكن يخطر لى على بال ان هذا الاديب يلازمنى على هذا النحو فى كل مكان . لقد اعتدت ملازمته كما أعتدت من قبل ملازمة عصاى

فانا لا اخرج من الفندق فى الصباح ، ولا اعود فى المساء ، ولا اذهب الى قهوة ولا الى ملهى الا ومعى « ابن عبد ربه » حقيقة ان فى جوف هذا الاديب كثيرا من طلى الحديث ، وهو خير انيس وجليس فى مثل وحدتى وعزلتى

ولكن .. اما كتب لى ان اظفر بجليس اجمل منه سحنة واعذب منه صوتا ؟ لقد كنت اتامل من طرف خفى هذين الزوجين السعيدين ، فيخيل الى انى ارى منهما اشياء . انهما لا يتحادثان كثيرا ، وكل منهما ياكل وهو مطرق ،

ولقد لحظت ان الزوج ما يكاد يفرغ من امر طعامه حتى يترك امراته ويختفى اختفاءة لا يظهر بعدها الا على مائدة الوجبة التالية . وكان الذى يشغل فكرى وقتئذ البحث عن « قهوة » هادئة اجعلها مقرا لى وللأديب الذى معى وللورق الذى فى جيبى . فانا لا مطمع لى فى رياضة شاقة كتسلق الجبال ، ولا رياضة هادئة كلعب « التنس » . وليس فى الناحية جدول قريب اصطاد منه السمك ، وهى رياضتى الوحيدة التى احذقها ... (استغفر الله على كلمة « احذقها » وهو الشاهد العدل على مبلغ حذقى اياها !) . وعثرت آخر الامر عند اقدام اشجار باسقة قد تهدلت اغصانها كجدائل الشعر الكثيف ، على « قهوة » صغيرة فى شبه كوخ من خشب نثرت حوله المقاعد والموائد . فقلت فى نفسى : ها هنا مكانى . فاتخذت مقعدا فوق العشب ، والتفت اطلب الساقى يحضر الى فنجانا من الشاى . فاذا انا امام ساقية كالبدر . واذا اخرى على باب الكوخ كالشمس . واذا ثالثة وهى الصغرى تخطر فى خفة الغزال بين الموائد ، ناثرة قطرات اللطف والظرف ، فى صورة ابتسامات ساحرات ، ذات اليمين وذات الشمال . اذا قلت انى فى حياتى لم ار اظرف من هذه الفتاة ما كذبت ، واذا اقسمت ان هذه الفتاة ما خلقت الا لتتلقى نظرات الاعجاب من الناس لما حنثت . الدليل تلك الاعين التى ترمقها من كل جانب ، وتلك الافواه التى تناديها من كل مائدة . كان اسمها « فرانسواز »

وفرغت من دهشتى قليلا فاجلست ابن عبد ربه على مقعد خال بجوارى ، واردت ان اشير الى الفتاة لاطلب فنجان الشاى ، واذا غيرى يسبقنى :

— فرانسواز ! كاسا من البيرة

فانتظرت لحظة . ثم هممت بندائها . واذا صوت آخر :

— فرانسواز ! كوبا من شراب البرتقال !

فسكت مرغما . ثم عاودنى الامل فرفعت راسى اليها واذا صيحة :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفت فاذا ذلك الزوج الشاب الذى يهجر زوجته فى الفندق بعد كل طعام ، قد جاء فى شبه ركض وجلس الى مائدة قرب مكان الفتاة ، وطفق يحدثها حديثا ازدحم به فمه ، وهى تضحك احيانا ضحكا رقيقا يتمايل له غصنها الرشيق ، واشرقت السعادة فى وجه الشاب . واذا صفاؤه قد عكره صوت فتيان آتين بملابس « التنيس » يصيحون قبل ان يجلسوا :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفتت اليهم الفتاة وابتسمت . ثم استاذنت محدثها وانطلقت اليهم . فاستقبلوها فى شبه هتاف وظلوا لحظة يتضاحكون . هؤلاء فيما يخيل الى فتيان من طلبة الجامعات فان هذرهم وضجيجهم وما يبدو من سنهم ينم على ذلك . وكان اكبرهم سنا فتى معتدل القامة جميل المنظر فى سروال « التنيس » الابيض وقميصه الخفيف وسواعده

العارية . وكان هو اكثرهم اهتماما بامر الفتاة . طفقت انظر الى كل هذا ، وذكرت ان ذقنى لم يحلق منذ ثلاثة ايام ، وتلك ايضا عادة من عاداتى . فانا لا افكر فى ذقنى وهندامى الا مصادفة . ثم ذكرت قلنسوتى « البيريه » التى تهبط الى اذنى كانها « لبدة » وعصاى الفليظة وكتابى الضخم بغلافه السميك القديم ، كانه سفر من اسفار السحر والتنجيم . فادركت ان منظرى لن يؤهلنى الى طلب فنجان الشاى فى هذه القهوة ! اانهض الى غيرها ؟ هذا مستحيل . ان هذا الجو الشعرى الجميل الذى يكتنف هذه القهوة هو فى ذاته متعة دونها كل متعة . وطال جلوسى . وطالت مشاهدتى ، ومر الوقت سريعا دون ان اشعر به ، وقام اناس ، وقعد اناس ، وانا فى مكانى لا يشعر بى احد . ولا اطلب شيئا الى احد . لقد خجلت ان استرعى التفات الساقيات الثلاث ما دامت انظارهن لا تريد ان تقع على مثلى ! وجعلت اسائل نفسى فى نبرة مريرة ، وروح كسيرة :

ــ ماذا يمنعنى من ان اعيش كما يعيش هؤلاء الاحياء ؟ ما احسبنى قد بلغت سن الياس ، وانا الآن بالمصيف فى شهر راحة . ما يمنعنى من حلق ذقنى كل صباح وترتيب شعرى وتعريضه للشمس والهواء . وارتداء مثل هذا السروال الابيض الجميل والقميص ذى السواعد العارية ؟؟ لم اتلق جوابا عن سؤالى . ولكن نظرة منى وقعت على صديقى « ابن عبد ربه » الموضوع الى جانبى ادركت معها فى الحال من المسئول عن كل ما صرت اليه !

نعم ، واأسفاه ، نعم . ووددت لو انقض عليه فاقطعه تقطيعا وامزقه تمزيقا . ولكنى اكتفيت بحمله بين يدى فى سخط شديد . كمن يحمل كتابه الذى سطرت فيه لعنته وقدره المحتوم

وعند ذلك حانت من الفتاة التفاتة الى . وفطنت الى وجودى ، فاسرعت الى تقول فى ابتسام واعتذار :

ـ نسيتك يا سيدى

فأجبتها فى ابتسام وتسامح :

ـ لا بأس . انك على كل حال لم تنسى شيئا ذا بال واحضرت الى ما طلبت . ولم نتبادل كلاما اكثر من ذلك . ولكنى سعدت به . فنحن معشر الادباء المساكين نرضى بالقليل ، ويكفى لاسعادنا والهامنا اتفه الاشياء

كثر اختلافى الى هذه القهوة . وكنت فى كل مرة ارى عين الاشخاص يلعبون عين الادوار

فالطالب فى لباس « التنيس » ينادى « فرانسواز » فى كل لحظة ، ولا يشبع من الحديث معها ، ولا يضن بطلب مشروب بعد مشروب ، استبقاء للساقية الجميلة الى جواره . ولقد سمعته ذات مرة وقد انفلتت من فمه هذه الكلمة :

ـ اوه ! لقد خربت وافلست . واضعت كل نقودى فى هذه القهوة !

ويلبث فى سروره وضحكه وهذره ساعة ثم يمضى الى ملعبه ، مطوحا « بمضربه » فى الهواء فرحا سعيدا

ويأتى الزوج الشاب ، وقد ترك زوجته فى الفندق وحيدة متذمرة تعسة مرتابة . فينادى : « فرانسواز » . ويطلب السعادة هو ايضا ساعة فى عينيها الباسمتين غير مبال بخطر فقد زوجته فى هذا السبيل

تأملت كل هذا لحظة . ثم قلت لنفسى :

ـ هذان شابان جميلان . ومع ذلك فقد اضاعا شيئا فى سبيل لحظة هناء الى جوار هذه الفتاة . ماذا اعطى انا من اجل لحظة تحادثنى فيها هذه الفتاة ؟ نعم ، هنا كل سعادتى ومطمعى : ان استرعى اهتمامها لحظة وان تقبل على تحادثنى حديث المشغوف بمحادثتى !

لكن .. هل هذا ممكن الحدوث وقد ابتليت بصحبة هذا الزميل المنحوس ؟ وانكببت على ورقى الذى كنت قد نشرته . وفتحت صدر ابن عبد ربه امامى ووضعت فيه همى . وكان القدر شاء مداعبتى او اراد متعمدا ان يكشف لى قليلا عن جوهر نفسى المحجوب عن عينى ، فأحدث المعجزة . واذا الفتاة تدنو منى مبتسمة متعجبة وتقف لحظة ترمق سطور « ابن عبد ربه » وهى صامتة ، وفطنت الى قربها ، فاضطرب قلبى ورفعت راسى . فابتدرتنى قائلة فى همس :

ـ أهذه كتابة صينية ؟!

فضحكت وقلت :

ـ بل عربية

ـ ما اعجبها ! اتستطيع ان تقرا هذا « النبش » فى سهولة ؟

ـ بالطبع . واكتبه ايضا

ـ وتكتبه ؟

ـ نعم . انظرى ...

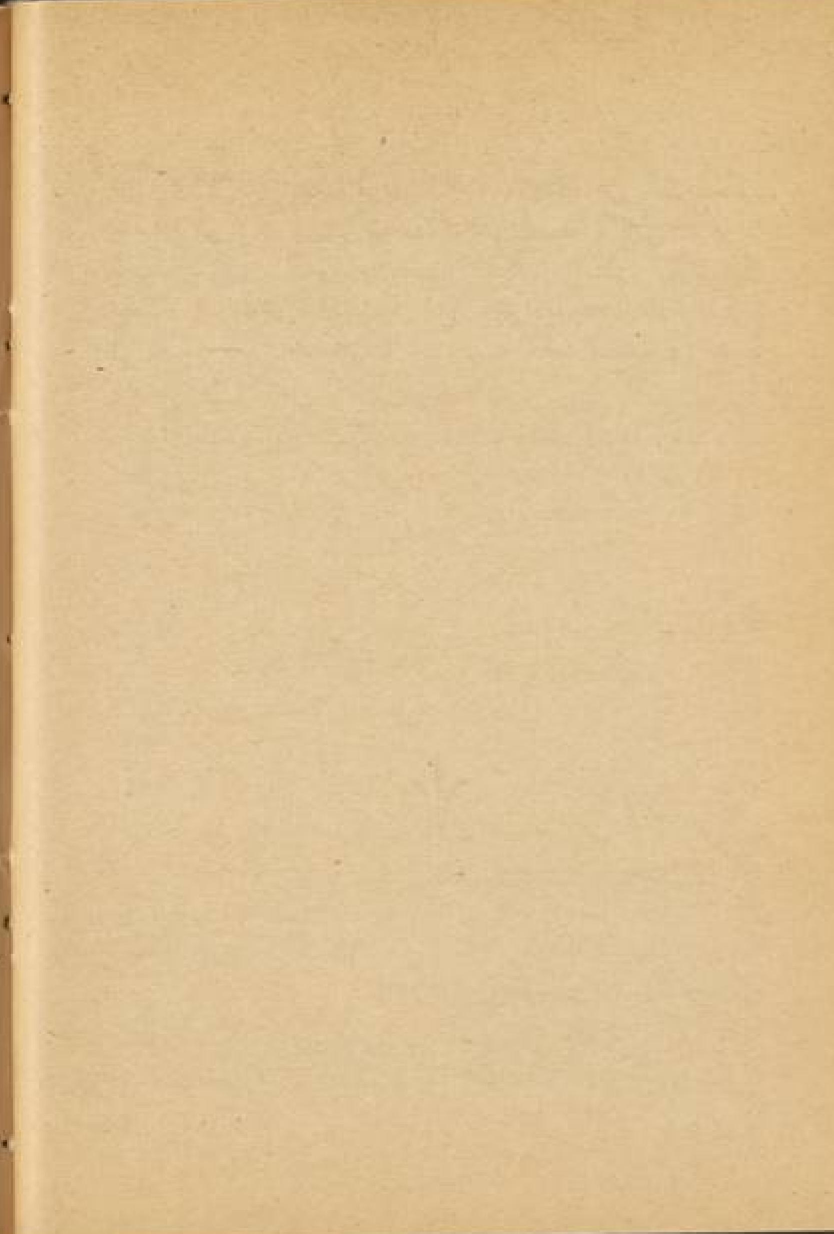
ومضيت اكتب امامها . وهى دهشة مسرورة . وجعلت تستفسرنى كثيرا من معانى الكتاب . وقاطعها النداء من كل جانب . فكانت تذهب لتلبى ثم تعود الى تحادثنى مغتبطة ، وقد تطرق الحديث الى مواضيع كثيرة . وقد ادركت من حديثى ان الكتابة صناعتى ، فاقبلت تعرض على الوانا من حياتها تصلح قصصا . وبدا على السرور اول الأمر . وبدات احترم ابن عبد ربه . فبفضله تم كل هذا ، ولكن ماكدت اتردد على القهوة مرة أخرى وتقبل على الفتاة تحادثنى ذلك الحديث الطويل فى مختلف الشئون ، حتى احسست ان كل شىء قد تغير فى نفسى ، فالأشجار ليست الأشجار ، والجنة ليست الجنة ، ووجهها لم يعد فيه السحر القديم ، والجو الشعرى قد ارتفع عن القهوة ، ذهب السحر وتهتكت استار الأسرار . وما انا والفتاة الآن الا صديقان ثرثاران !

وشعرت عندئذ ان لاشىء عاد يربطنى بالقهوة ، ووددت لو اتركها الى غيرها حتى اتفرغ للعمل ، واتم الفصول

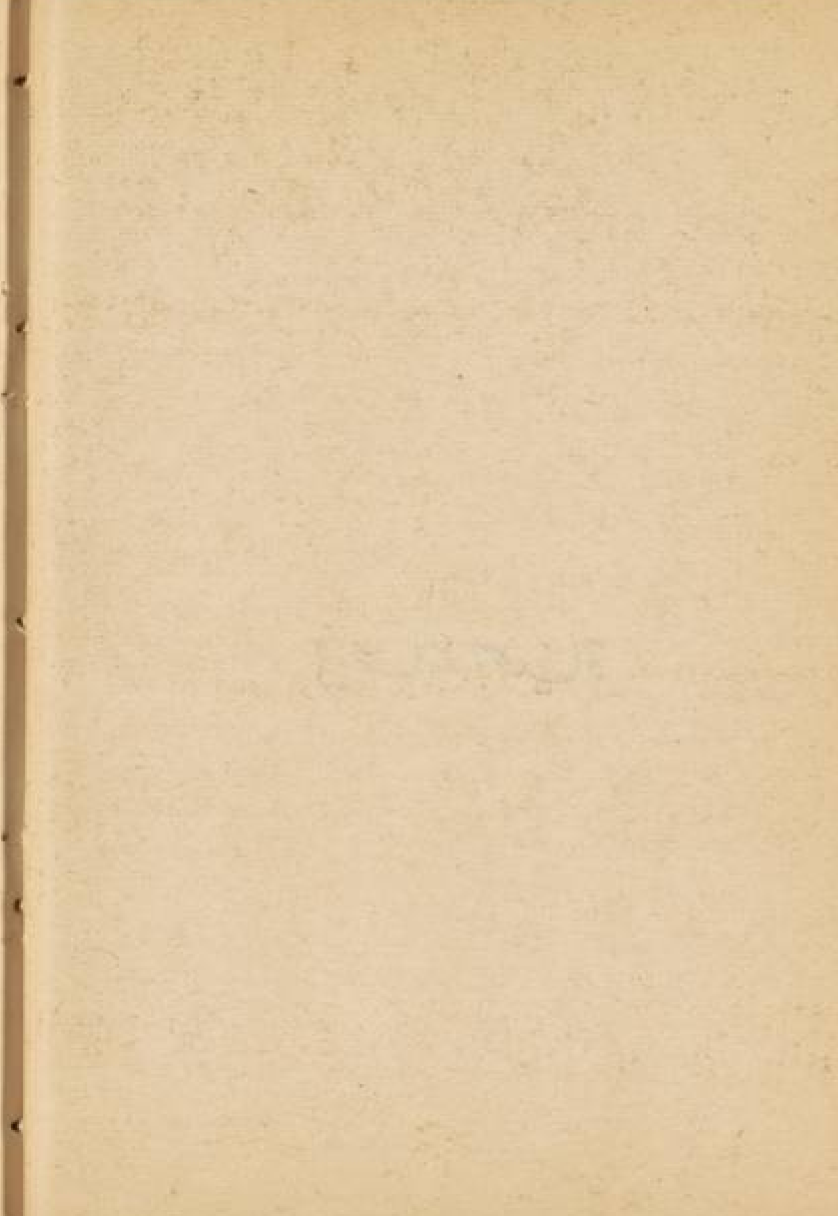
الأولى التى بداتها مدفوعابتلك القوةالهائلة من لحظةسعادة خفيفة مرت . عند ذاك فهمت أن السعادة التى تلزم لنا نحن الفنانين ، لنقوم بالاعمال الكبار ينبغى أن تكون بمقدار !! مقدار صغير ثمين مثل «الراديوم» . فاذا انغمرنا فى حوض من هذه المادة السحرية فانها تنقلب فى نظرنا ماء قراحا لا فعل له ولا اثر

وتابطت « ابن عبدربه » أخيرا ، وانصرفت به وقد ... انتصر !





في حانة الحياة



ساقون ثلاثة فى « حانة الدنيـــا » اذا ناديتهم اقبلوا بالـكئوس وهم يرقصون ، وفى عيونهم وشفاههم بسمات خفية ساخرة لا ترتاح لها نفس ... اول « جرسون » من هؤلاء طفل ، وهو ابدا طفل وعمره خمس سنين ... ويدعونه « الحب » ، والثانى رجل وهو ابدا رجل وعمره ابدا اربعون سنة ... ويسمونه « الشيطان » ، وثالثهم لا عمر له ويدعى « الموت » . والموت هو «البارمان» لهذا الحان . وهو الوحيد من بين الثلاثة الذى لم أفكر يوما فى الدنو منه ، وقد زهدت من أجله فى الشرب على «البار» !. منظره لايعجبنى وحسبى منه وقفته الوقحة و «فوطته» القذرة التى بها الف خرق وضحكته التى كسعال المسلولين وأسنانه الصفراء العفنة من تأثير ادمانه على التـــدخين والمغيبات . انه « يقرفنى » ومحال أن اتناول شيئا من يده طوعا واختيارا ...

اما « الشيطان » فيعجبنى بطلاقتـــه وزلفاه وذكائه . ولولا علمى انه محكوم عليه غيـــابيا ... وانه من ارباب السوابق فى جرائم النصب والاحتيال ... لركنا اليه ... انا وكافة « الزبائن » ...

اما « الحب » فالويل من هذا الطفل الجاهل الجميل !

انه ياسرني بلطفه ورقته ... أجل انه الساقى الوحيد الذى اتناول من يده كل شيء... وبلا تحفظ . غير مبال ان كان مايعطينى سما أو « شمبانيا » ...

ناديته فى الربيع الماضى فاقبل يحمل الى الكاس ... ووقف ينظر الى برقة ساحرة ويبتسم الى بابتسامةخلابة تحوى اشياء لم اكن ادركها فى ذلك الحين :

ـ ماذا تريد ؟... (البقشيش) ؟.

ـ كلا .. اريد الا تطلب منى شيئا بعدذلك ... اياك ان تطلب قليلا من الثلج ... ان طلبت قليلامن الثلج فلن آتى لك بطلبك ...

ـ اطمئن .. لن اطلب منك شيئا .. ابدا .. لا (ثلج) ولا (صودا) ...

واقبلت على الكاس ... لكنه استوقفنى ايضا . وغافلنى وحمل الكاس وجرى قليلا . ثم ضحك ضحكة صبيانية وقال فى نبرة ملائكية :

ـ ساعذبك ...

غير انى لم اسمع ولم أر ولم أدرك الا شيئاواحدا : انه حمل الكاس وابتعد . فارتجفت وصحت مدفوعا بالرغبة والظما ...

ـ هات الكاس يا جرسون ...

فاقترب به من شفتى ... وقال بنفس الصوت الموسيقى العذب :

ـ ساعذبك . . .
ـ هات الـكأس يا جرسون . . .
ـ سوف تلعننى . . .
ـ انا ؟؟!
ـ سوف تمقتنى . . .
ـ انا عبدك . . .
ـ ساعذبك . . .
ـ هات الـكأس . . .
ـ خــذ !.

□

ومضى عام :
ـ يا جرسون . يا جرسون !
ـ ماذا تريد ؟
ـ الثلج . . . فى الحال . . . الثلج !
ـ لقد انذرتك
ـ ارجو منك . . . قطعة واحدة من الثلج !
ـ قد انذرتك
ـ قطعة . . . ولك ما تريد . . .
ـ هيهات . . هيهات !
ـ لاتبتعد ؟. . لا تهزأ بى . لن تتركنى قبــل احضار الثلج . . .
ـ هيهات . هيهات !

ـ لقد خدعتنى ... ما كنت اظن طفلا بريئا جميلا يجرؤ على هذه الجريمة : يقدم الى بدل ماء الكروم ماء النار !

ـ الكروم والنار ... يالك من غر ساذج !... الخمر والنار هما عنصرا حياتى ... وهما لون خدودى ولون شرابى !..

ـ قطعة من الثلج ... ولك ما شئت !

ـ محال ...!

ـ رحماك !..

ـ لو كنت عاقلا لادركت ان الثلج ليس فى عهدتى

ـ لماذا ؟؟... لماذا ؟؟...

ـ سل صاحب الحان ...

ـ انقذنى ... لعنة الله عليك

ـ الثلج لايمكن ان يكون فى عهدتى

ـ آه يا ملعون !! وما العمل ؟

ـ عليك بجرسون آخر ؟؟

ـ جرسون آخر ... من ؟؟ من ؟؟

فجرى « الحب » الى « الشيطان » واسر اليه كلاما ثم اشار بيده الى انا « الزبون » المسكين ، واذا « الشيطان » قد اقبل نحوى :

ـ انا .. هو ذا .. ماطلبك ؟.. انا القدير على تنفيذ رغبتك ... مرنى اطع ايها السيد النبيل !

ـ الشيطان !!

ـ خادمك !.

ـ كلا مستحيل ! انت من ارباب السوابق

ـ مظلوم !.. وربــك لم يثبت ضــدى شيء . . . لا تصــدق وشايات الناس . وربـك انى متهم زورا وبهتانا .. هاك .. «رخصتى» .. بيضاء كقلب الجنين .!

ـ اليست ... مزورة...؟؟ على كل حال انا فى حاجة اليك الآن ! انى فى حاجة شديدة اليك ... اسامع ؟

ـ محسوبك ...

ـ ... الحب .. هزا بى .. انتقم لى ..

ـ آسف ! الحب زميلى وليس لى عليه سلطان .

ـ ما العمل اذن ؟...

ـ دع الانتقام ... وفــكر فى الدواء ...

ـ الدواء ... الثلج ... قطعة من الثلج ... اذن !

ـ الثلج ليس بالدواء ... الدواء هو !

ـ هو !! هو ماذا ؟ تكلم ؟

ـ هو الداء ... وداوها بالتى كانت هى الداء ...

ـ ماذا تعنى ...؟

ـ اطلب من « الحب » كاسا اخرى ...!

ـ قل سما آخر ، نارا اخرى سائلة فى كاس صافية !. لا ، ايها النصاب لقد خدعت مرة ...

ـ ومن ادراك ؟. ربما فى هذه المرة ؟

ـ اخرس ، يا منافق ... دوائى الثلج ... انا ادرى

النـــاس بدوائى ... اعطنى قطعة من الثلج ... اسرع بالثلج ...

ـ محال ...

ـ انت أيضا ...

ـ الثلج ليس فى عهدتى ...

ـ كيف ذلك ... كيف ذلك ؟..

ـ سل صاحب الخان !...

ـ وما العمل ؟... ارحمنى !...

ـ ادلك على « جرسون » آخر ... واوصـــيه بك خيرا ... فلطالما اوصيته عند اللزوم بزبائننا الكرام ...

وجرى « الشيطان » مهرولا الى « الموت » واسر اليه كلاما ، ثم اشار الى انا « الزبون » ، فتقدم « الموت » فى بطء وهو يبتسم ساخرا :

ـ من الذى طلبنى ؟

ـ الموت !!.. آه .. لا ، لا ، لا .. ابدا ...

ـ عجبـــا لـــكم ... يا معشر الزبائن ...! كلـكم متشابهون ... تطلبون ثم تنكرون ! الم تطلبنى ايهـــا « الزبون » ؟؟ ها .. حا .. حا .. حا ...

ـ لاتسعل فى وجهى .. اغرب عنى ..

ـ عجبا !. حا .. حا .. سعالى يخيفك .. اتحسبنى مسلولا .. لا .. اخطات ! هذا من الافيون نعم .. ها .. حا .. حا .. الا تحب تعاطى الأفيون ؟

ـ بالله . ابتعد . اسنانك الصفراء .. ابتعد .. ابتعد ...

ـ والثلج ؟. الا تطلب الثلج ؟. هو فى عهدتى .. الا تريد ؟؟..

ـ فى عهدتك ؟؟..

ـ فى عهدتى دائما ... من يوم (نزولى الخدمة) ، بهذه الحالة ...

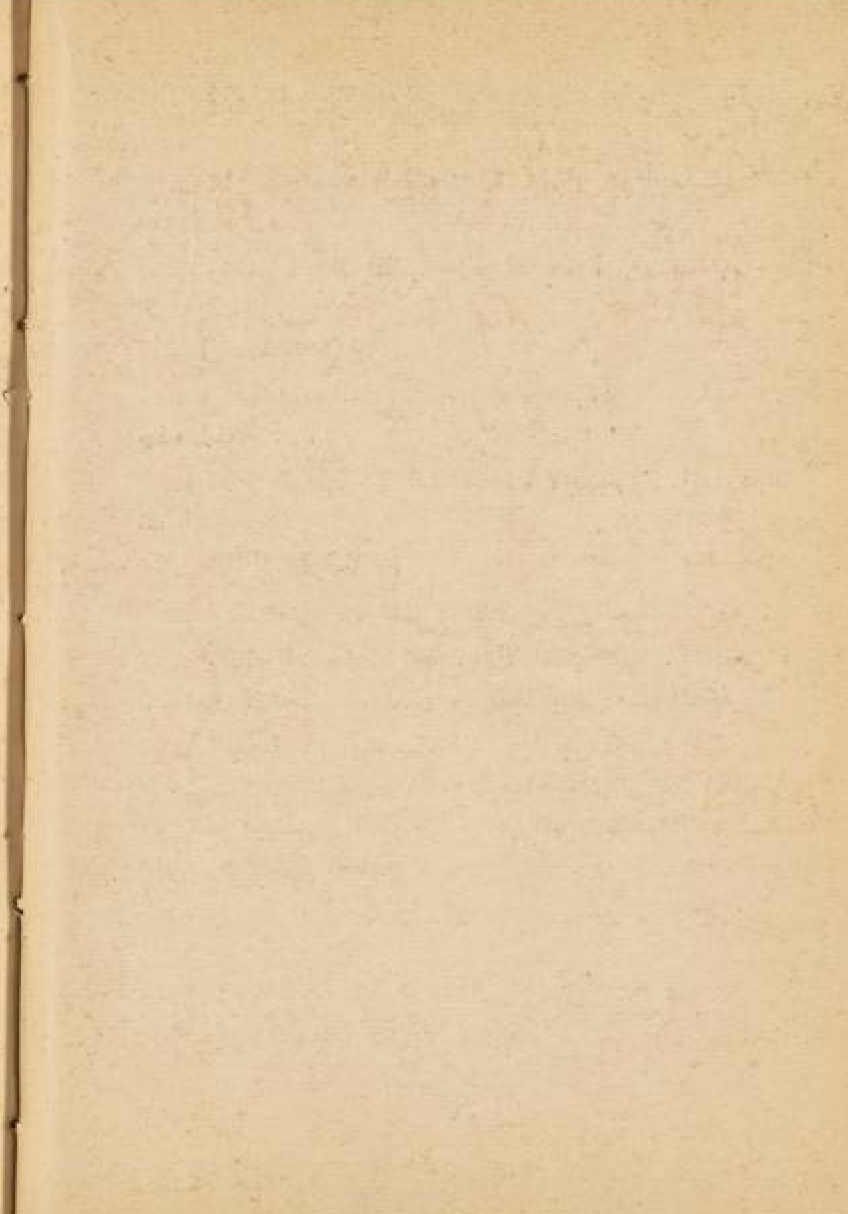
ـ كلا لا تقربنى .. قلت لك .. لاتقربنى ..استودعك الله !...

ـ الى اين !؟ حا ..

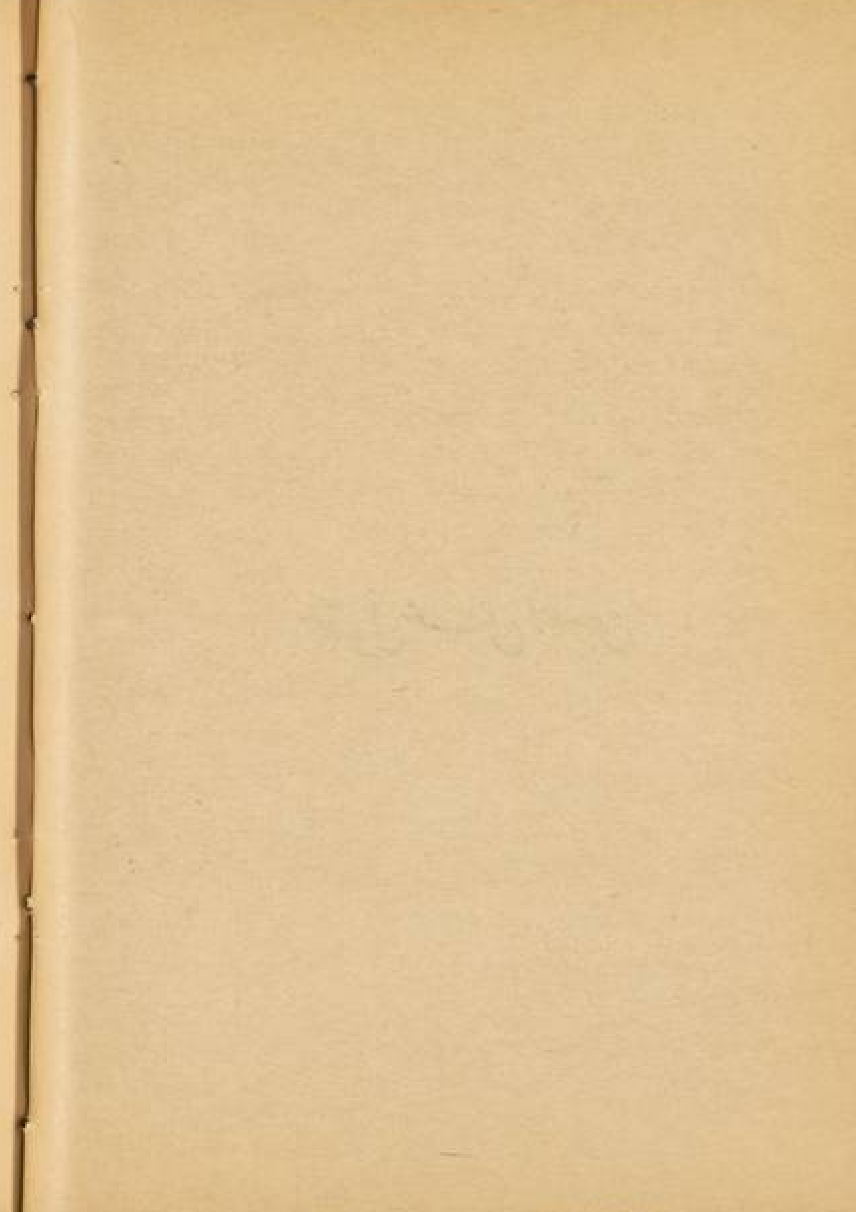
ـ ابتعد عنى .. انت لا تطاق .. رائحتك كريهة ..

ـ والثلج ؟. حا .. حا .. الا تطلب ثلجا .. ابيض ؟ .. تعال لا تخف .. تعال .. ثلجا ابيض مثل الكفن !!

ـ النجدة .. النجدة .. يا جرسون « حب » ، يا جرسون « شيطان » .. يا صاحب الحان .. انقذونى من هذا الجرسون الفظيع .. كل شىء يطاق الا هذا الجرسون البارد الفظيع ...



حقوقي على نفسي



فى ذات صباح دخل على حارس بابى وقدم الى خطابا قال ان صاحبه ينتظر الاذن « بالمثول » . وفضضت الغلاف وقرات الخطاب فاذا هو معجب متحمس قد ذهب الاعجاب براسه فجاء من بلدته وتحمل نفقات السفر كى يظفر بخمس دقائق يرى فيها ذلك التمثال من الحكمة فوق عرش من الذهب . او ذلك المخلوق العجيب الذى تتساقط من فمه درر الفن والادب ، فتملأ احواضا حوله يسبح فيها بط واوز من الفضة والماس وتنبت فيها ازهار من النور والبللور الى آخر هذا الخيال الذى لمحت اثره بين السطور . وكان عندى وقتئذ اديب معروف اطلع على الخطاب وقال : هذا يذكرنى بأحد الموسيقيين فى القرن الماضى . مشى من بلده على قدميه ليرى « ريتشارد فاجنر » فلما بلغ حيث يقيم اكتفى بمشاهدة خيال الاستاذ قائما خلف زجاج نافذته ، وقفل الى بلده غانما باسما

فقلت لصديقى :

ـ لا محل هنا للمقارنة . فانا لست « ريتشارد فاجنر » وصاحب الخطاب لن يقنع منى فيما يظهر بشبح مار خلف نافذة . لا تنس انه دفع نفقات السفر ليرى مناظر قد صورها خياله منذ أيام وشهور ، وليعيش تلك الدقائق

الخمس فى جو عبق باحلام واوهام ساورته فى ليال طوال وهو يقرأ ذلك « الهراء » الذى ملأنا به كتبا ذات ورق صقيل وطبع انيق . اى خيبة امل ستصدم نفس هـذا المسكين اذ يجتاز الساعة عتبة هذا الباب ؟

وترددت قيلا . ولحظ صاحبى ترددى فقال :

ــ ايذن له على كل حال

فاذنت . وليس فى مقدورى ان افعل غير ذلك . فان رفض المقابلة فى مثل هذه الحال قسوة وسوء ادب . ودخل الزائر . فاذا شاب يتقدم فى حياء واضطراب . سلم فى احترام ، وجلس حيث اشرت اليه . ولبث صامتا مطرقا ينتظر منى ان ابدأ الحديث . ولم اجد انا ما اقول له . وطال صمتنا . وراى صديقى الاديب ان الموقف قد فتر وبرد الى حد اخجل الشاب فوق خجله . فافتتح الكلام فى لباقة قائلا للشاب :

ــ انت قرات للاستاذ طبعا . . .

فاندفع الشاب يقول فى قوة وتحمس :

ــ كل شىء . كل شىء من « اهل الكهف » الخالدة الى آخر مقال ظهر فى الصحف للاستاذ

فلم انظر الى الزائر والتفت الى صديقى الاديب وقلت :

ــ الم تدركها الوفاة بعد « اهل الكهف الخالدة » ؟ . . ان هذه « الخالدة » جديرة ان تموت « حرقا » كما تموت الساحرات الكاذبات

فاحمر وجه الشاب واراد ان يقول شيئا . لكنى مضيت فى كلامى :

ـ انى ارجو ممن يسبغ مثل هذه الصفات على مثل هذه القصة ان يقراها بعد عشرة اعوام . فان استطاعت ان تحتفظ بسحرها عشرة اعوام فقط حق لك ان تعجب وان تغتبط

فلم يطق الشاب صبرا وصاح بى :

ـ لا تقل ذلك . . لا تقل ذلك . . انت ولا شك لم تقرا . .

ولم يتم . فقد قاطعه صاحبى الاديب بقهقهة عالية وهو ينظر الى :

ـ اسمعت ؟ انك لم تقراها . . وانك لتحكم على شىء ليس لك به علم . .

وخجل الفتى الزائر قليلا وتمتم باعتذار خافت وقال :

ـ انى قراتها كثيرا . لا اذكر كم من المرات . فاذا لم تكن هذه القصة خالدة فما هى القصة الخالدة ؟

ـ انها « خالدة » اذا هبطنا بسعر « الخلود » الى خمسة اعوام !

فاحتج الشاب وحرك يده على نحو عنيف فلم التفت اليه واتجهت شطر صديقى الاديب وقلت :

ـ انى لن انسى يوم شاهدت هذه « القصة » تمثل للمرة الاولى . لقد خرجت من اطارها الساحر . هـــذا الطبع الانيق والورق الفاخر . فاذا هى شىء هزيل . لا يكاد

يقف على قدميه . واذا سحرها الوهمى الكاذب قد طار عنها كما يطير الريش الملون عن الطاووس الجميل فلا يبقى منه غير شبه جيفة من اللحم الازرق والعصب الضئيل . هذه القصة التى لم تثبت « للتمثيل » اتستطيع ان تثبت « للزمن » ؟

فتململ الشاب ونظر الى صاحبى الاديب نظرة المستنجد وقال له :

ـ انى آت اليوم لاسمع هذا الكلام من الاستاذ

فأجابه صاحبى باسما :

ـ ان الاستاذ ادرى بعمله منا

فقاطعه الفتى قائلا :

ـ لا . . . لا . . . ابدا

فنظر اليه صديقى دهشا :

ـ ماذا تعنى ؟

فصاح الشاب فى حماسة :

ـ ان اعمال الاستاذ خالدة جميعا

فلم استطع كتمان ضحكى وقلت من فورى :

ـ اقسم ان الاستاذ الذى تتحدثون عنه لم يكتب سطرا خالدا

فنهض الشاب على قدميه منفعلا وقال بصوت متهدج :

ـ انى لا اسمح لك . . . انى لا اسمح . . .

فاسرع صاحبى الاديب وهمس فى اذنى :

ــ الزم الصمت . انى المح الشـــر فى عينيـــه . وليس بمستبعد ان يهجم عليك ويشبعك ضربا

فابتسمت وقلت للشاب فى هدوء ورفق :

ــ سنتفق على كل حال ذات يوم . وربما فى يوم قريب . وسترى بعينيك انى انا الذى كنت على حق

فهدأ الفتى قليلا ثم نظر الى وقال فى نبرة الاسف :

ــ لماذا تريد ان تهدم عملك ؟

ــ لانه لا يساوى الآن شيئا . لقد قام بمهمته وانتهى الامر ان الفن طويل والعمر قصير . وان هذا الهراء الذى تكتبه ليس الا محطات صغيرة نجتازها اثناء السفر فى طريق الفن ، لا ينبغى ان نقف عندها ولا ان نرجع البصر اليها . ان ما يهمنى الآن هو المحطة التى بلغتها اليوم والمحطة التى اريد ان ابلغها غدا : انى فى كل محطة يخيل الى انى فى مبدأ الطريق

ــ انه لتواضع

ــ لا . انه ليس كذلك . ينبغى ان تكون معى فى هـــذا السفر الطويل حتى تدرك ان « اهل الكهف » شىء قد مات ودفن منذ اعوام

ــ انها لم تمت

ــ الكلام معك ايها الشاب لا فائدة منه

ــ معذرة يا استاذ . انى لن اصدق ان « بريــكا » ميتة

الآن . مهما تقل ومهما تفعل . انى اسمع كلامها واعيش معها . واكاد اراها الآن . ان ملامحها وتقاطيع وجهها وقوامها الرشيق وخصرها النحيل . . . كل هذا حى فى راسى وقلبى كل هذا مصور فى مخيلتى تصويرا لا تمحوه كلماتك التى قلتها اليوم ولا اضعافها . انى كنت قد جئت لأحدثك حديثا طويلا عن « بريسكا » واستزيد من خبرها ولكن . . ارجو ان تاذن لى الآن فى الانصراف

ومد لى يده فجأة وودعنى فى صمت وذهب سريعا وانا انظر اليه حتى اختفى وحال بينى وبينه الباب . واطرقت لحظة ثم رفعت راسى ونظرت الى صاحبى الاديب فاذا هو كذلك مطرق مفكر . واخيرا التفت الى وقال :

ـ ما كان ينبغى لك ان تقول كل هذا الكلام لهذا الشاب المسكين

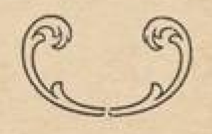
ـ او كان ينبغى لى ان اتركه فى وهمه مخدوعا فى خلود كاذب ؟

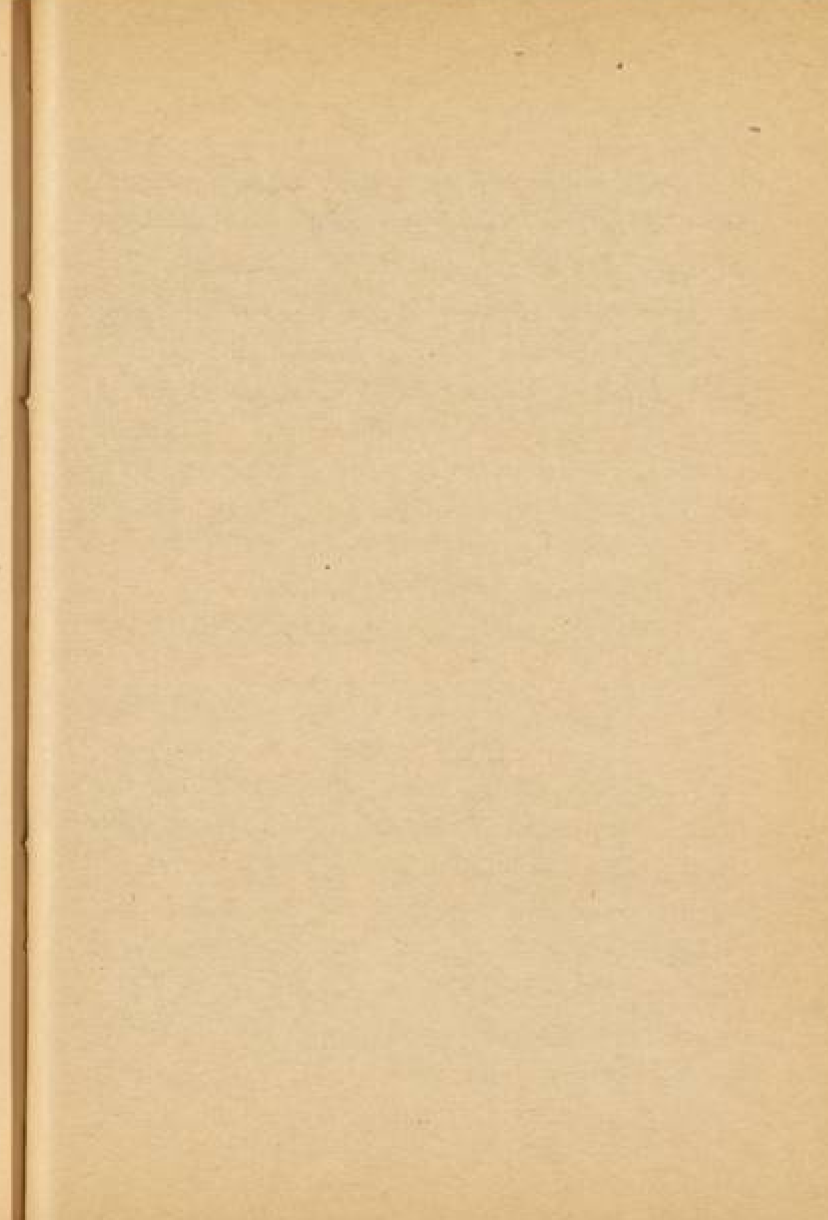
ـ ليس من حقك ان تصدر على نفسك احكاما امام الناس . انك ما دمت قد استطعت ان تخلق للناس اوهاما جميلة واحلاما حلوة يعيشون فى جوها فان من الاثم ان تخرجهم منهـا بكلمة . ومع ذلك فكن على ثقـة انهم لن يصدقوا كلامك وان حرصهم على هذه الاوهام التى الفوها لاشد من حرصهم عليك انت وعلى حقيقتك التى تزعمها . اترى لو بعث نبى من الانبياء اليوم وجاء يهدم دينه الذى اتى به قديما ، ماذا يكون شانه ؟ ايصدقه الناس بسهولة

ام تراهم يرجمونه بالحجارة ويرمونه بالكذب والجنون ؟؟
ان تمسك الناس بالوهم الذى اعتادوه لاقوى من كل حقيقة

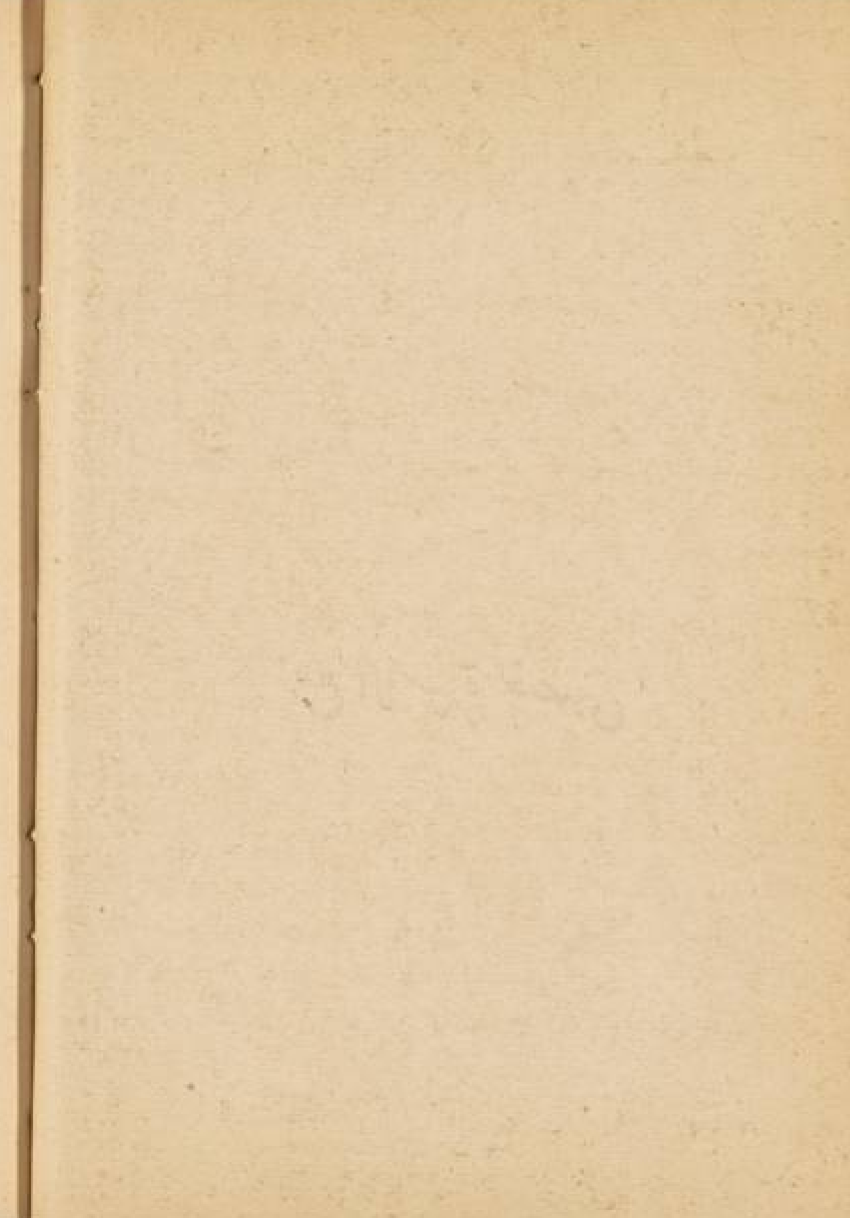
ـ يا للعجب . اليس لى الحق اذن ان اهدم نفسى ؟ انه الجنون ان اتصور ان ليس فى استطاعتى ان اهدم نفسى

ـ نعم وانها لنعمة حرمها المؤلف فيما حرم من أشياء . ان حقوقه على نفسه ليست محفوظة له كحقوق الطبع والتاليف !





مع الأميرة الغضبى



الاميرة الغضبى هى «بريسكا» بطلة قصتى «اهل الكهف» وهى مثلى تحب الكتب ، هذه الحسناء النضرة كالزهرة . وكانت تعيش ربيعها الباسم مع مؤدبها « غالياس » ، هذا الشيخ الفانى ذو اللحية البيضاء . الى ان وضع القدر امامها الفتى الجميل « مشلينيا » . فما كاد يتفتح قلب هذه الزهرة للحب ، حتى رات « القدر » قد حا ل بينها وبين حبيبها ، وسطر فى اللوح امر موته . وقدر « بريسكا » هو « انا » ولا فخر . انا الذى فى يدى سعادتها وشقاؤها ، اسطرهما بكلمة من قلمى ! لقد تذكرت هذا ، ذات ليلة ، فحدثتنى نفسى ان اهبط الى عالم مخلوقاتى ، فارى الراضى منهم والساخط ، واطوف بمشاعرهم نحوى ونحو الاشياء كما كان يفعل آلهة الاساطير !

ذهبت الى الاميرة بريسكا ، فوجدتها تتالق فى حسنها المعهود . ولكنه حسن عليه غيمة حزن . فما ان راتنى وعرفتنى ، حتى هبت الى صائحة :

ــ انى ابغضك !... من اعماق قلبى

ــ استغفر الله ! لماذا يا سيدتى ؟ ما جنايتى !

ــ واحتقرك كما احتقر غالياس

ــ لاحظى يا سيدتى قبل كل شىء ان ليست لى لحية غالياس !

ـ قل لى انت قبل كل شىء : ماذا عليك لو انك ابقيت لى مشلينيا ؟. . . لو ان قلمك تمهل لحظة صغيرة ولم يقصف تلك الحياة قبل ان يحضر غالياس وعاء اللبن . . .! ماذا كسبت انت من موت مشلينيا قبل الاوان ؟ لحظة واحدة صغيرة كانت كافية لانقاذ الفتى . . . لكنك ضننت بها ايها القاسى الظلوم !

ـ لست قاسيا يا سيدتى ولا ظلوما . ولو كنت املك امر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لابقيته لك عن طيب خاطر

ـ لو كنت تملك ؟ ومن غيرك يملك ؟

ـ لا تحملينى يا سيدتى هذه التبعة !

ـ جميل ان يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل!!

ـ آه !. ما اظلم الانسان ! وما احوج الخالقين الى الرحمة والرثاء فى هذا الوجود !

ـ نحن الظالمون وهم المظلومون ! شىء بديع !

ـ تلك هى الحقيقة ، يا سيدتى ! انكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم وهم براء من كل صفة من هذه الصفات فلا ظلم ولا عدل ، ولا قسوة ولا حنان ، ولا غضب ولا رضى، تلك عواطف لا يعرفونها ولا يشعرون بها . ولو اصغى اله لصوت آدمى لانحل الكون فى طرفة عين ، كما تنحل قصة اهل الكهف لو انى اصغيت الى شخص واحد من اشخاصها ! فانت تريدين ان اؤخر موت مشلينيا دقيقة ، ولا تعلمين ان هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة ان تغير وجه القصة

وتقلب مصير الاشخاص وتلقى عناصر الفوضى فى العمل كله . كلا يا سيدتى . انى لم ارد موت مشلينيا ولم ارد بقاءه . ولم أحب ولم اكره . ولم اظلم ولم اعدل . ان الخالق لا يمكن ان يخضع لغير قانون واحد : « التناسق »

ـ هذا كلام تبرر به قسوتك

ـ انت يا سيدتى لا تعرفين ما مهنة الخالق ! ثقى ان كلمة « قسوة » لا معنى لها فى تلك المهنة

ـ انت كائن لا يمكن ان يفهمنى ولا يمكن ان يفهم الحب

ـ لا افهمك ، هذا صحيح . اما انى لا افهم الحب فهذا غير صحيح

ـ هل انت تفهم الحب ؟

ـ قليلا

ـ هل احببت فى حياتك . . .؟

ـ ايتها الاميرة ! لا اسمح لك بالكلام فى شئونى الخاصة

ـ معذرة ! انما اردت ان اعرف كيف فهمك للحب ؟

ـ ماذا تريدين ان تعرف ؟ احب الخالق وهو روح التناسق ؟ ام حب المخلوق . . .؟

ـ بل حب المخلوق . . . حب القلب . . . الحب ما اريد

ـ . . . صدقت . ما دمت انت خالقا وانا مخلوقتك فان بيننا تلك الهوة . . . فانت لا تنظر الى بعين خاصة . ولا تعرفنى معرفة خاصة . ولا تتصل بى اتصالا مباشرا . انما تنظر الى كعنصر من عناصر الكل المتسق . تنظر الى

بعين ذلك القانون الذى نحكى عنه ، وينبغى ان تكون مخلوقا مثلى وعنصرا او جزءا مثلى حتى يكون بيننا ذلك الارتباط الخاص وذلك الالتفات الخاص . فهبك كذلك وهبنى احببتك فهل تحبنى ؟

ـ يا لك من ذكية ماهرة !

ـ اجب . اذا احببتك . . .؟

ـ ومشلينيا ؟

ـ دعنا الآن من مشلينيا

ـ اذا احببتنى ؟ انا ؟

ـ نعم ، انت

ـ انى اخشى هذا الحب

ـ لماذا ؟

ـ لانك لن تحبينى

ـ من اين لك العلم ؟

ـ هل رايتنى ؟ انى لا اشبه مشلينيا فى شىء فليست لى فتوته ولا جماله ولا قوامه ولا ذراعاه ولا شفتاه . . .

ـ ولا قلبه ؟

ـ اتردد قبل ان اجيب ، قد يكون لى قلبه ، لكن ثقى انى لو شقيت فى الحب فانى لا اذهب الى الكهف ولا اموت جوعا . اولا . . . ليس عندى كهف اموت فيه . وان وجدنا الكهف ، فلسنا واجدين الشجاعة والصبر عن اكل الشواء والدجاج يوما واحدا . . .

ـ اذن ليس لك حتى قلبه !

ـ نعم وا اسفاه !

ـ اذن ما يصنع مثلك لو شقى فى الحب ؟

ـ يذهب الى كهف من كهوف النبيذ فى مونمارتر ويؤلف قصصا تمثيلية

ـ مرحى !. مرحى ..!

ـ لا تغضبى ايتها العزيزة بريسكا

ـ اهذا فهمك للحب ؟

ـ ماذا تريدين ؟ انا لسنا قديسين!

ـ نعم ، لستم سوى خالقين ! آه . . . كنت احسبكم خيرا من هذا !

ـ كذلك قال غالياس يوما فيما اذكر عن القديسين الثلاثة اذ خالطهم وحادثهم . الا تذكرين ؟

ـ كنت اظنك على الاقل خيرا من غالياس المسكين فهما للحب !!

ـ يشق على ان يخيب ظنك فى يا عزيزتى !

ـ عزيزتك ! كلا . لست اسمح لك ! انك تخاطبنى كما لو كنت تعرفنى من قبل ، او كما لو كنت لى بعلا !!

ـ حقيقة ايتها الاميرة ليس لى هذا الشرف !

ـ تستطيع ان تنصرف يا هذا !.

ـ انصرف الى اين ايتها الاميرة . . .؟

ـ اتسائلني ؟ الى حيث كنت ... الى سمائك ...

ـ اين هى هذه السماء ؟ فى قهوة « سيرانو » ؟ او فى قهوة « جروبى » ؟ ما اكثر اوهامكم ايتها المخلوقات !

ـ نعم ما اكثر اوهامنا ... وتخيلاتنا ... وخيبة آمالنا !

ـ ذلك انكم تريدون ان تخضعوا كل شيء لخيالكم انتم

ـ صدقت ! اننا نتمثل القديسين والآلهة كما تصورهم لنا عقولنا ...

ـ ثقى ان لو كشف المجهول يوما لاعين البشر لصاحوا كلهم بكلمتك التى لفظتها الساعة : « كنا نحسبه خيرا من هذا ... ! »

ـ ربما ....

ـ ذلك انهم سيرون المجهول شيئا لا علاقة له بعقلهم ، ولا بخيالهم ، ولا بمنطقهم ، ولا بعواطفهم ، ولا ببشريتهم

ـ انا مخلوقات . ماذا تريد من مخلوقات ؟ انا لا نستطيع ان نخرج من انفسنا لنفهم ونرى شيئا غير انفسنا

ـ ومع ذلك فان لهذه المخلوقات كنزا لا يوجد عند الآلهة

ـ القلب

ـ نعم

ـ انى اومن بما تقول ، فهـا انت ذا خالق من نـوع تافه ... وليس لك القلب الذى لمشلينيا ...!

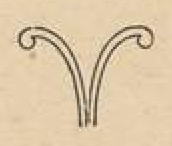
ـ اعترف انى اقل شانا من حبيبك

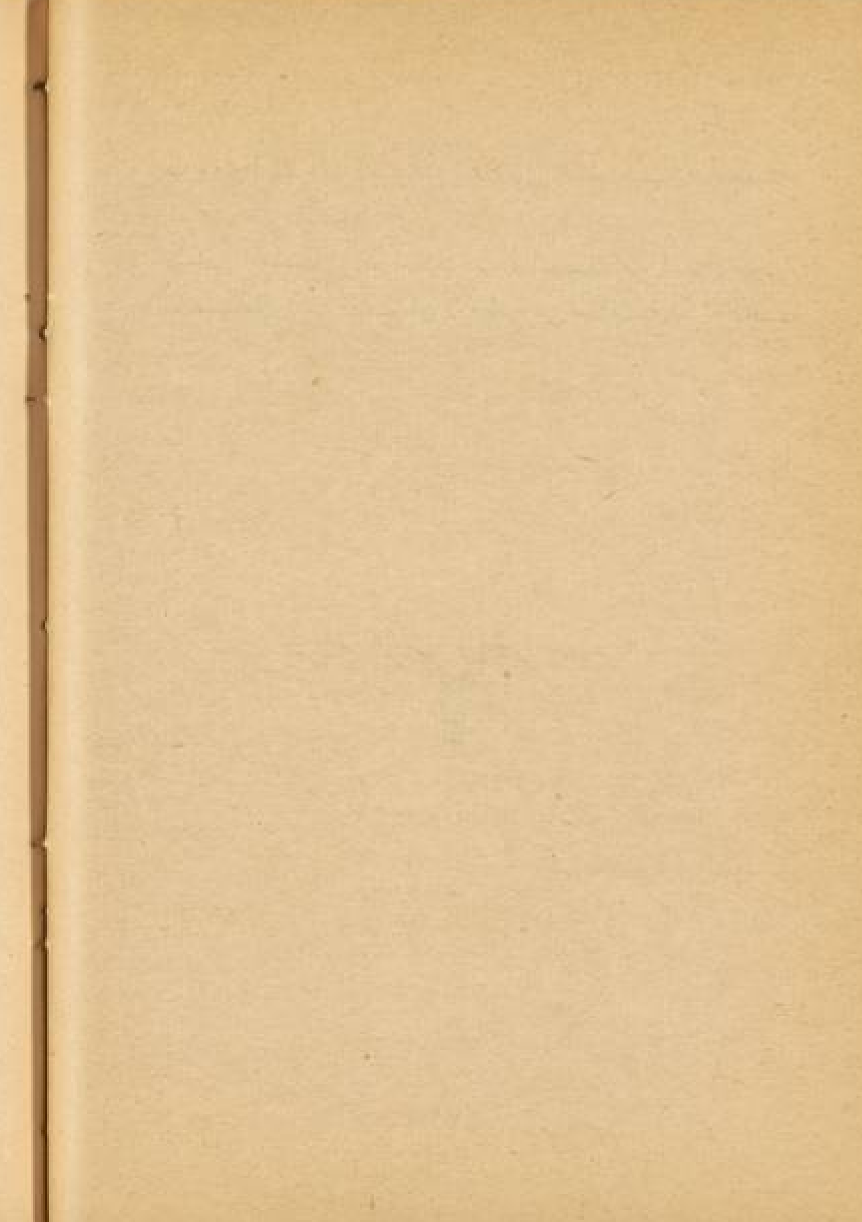
ـ ومع ذلك فقد اجترات يدك على اطفاء حيـــاته الجميلة

ـ عدنا الى الاتهام

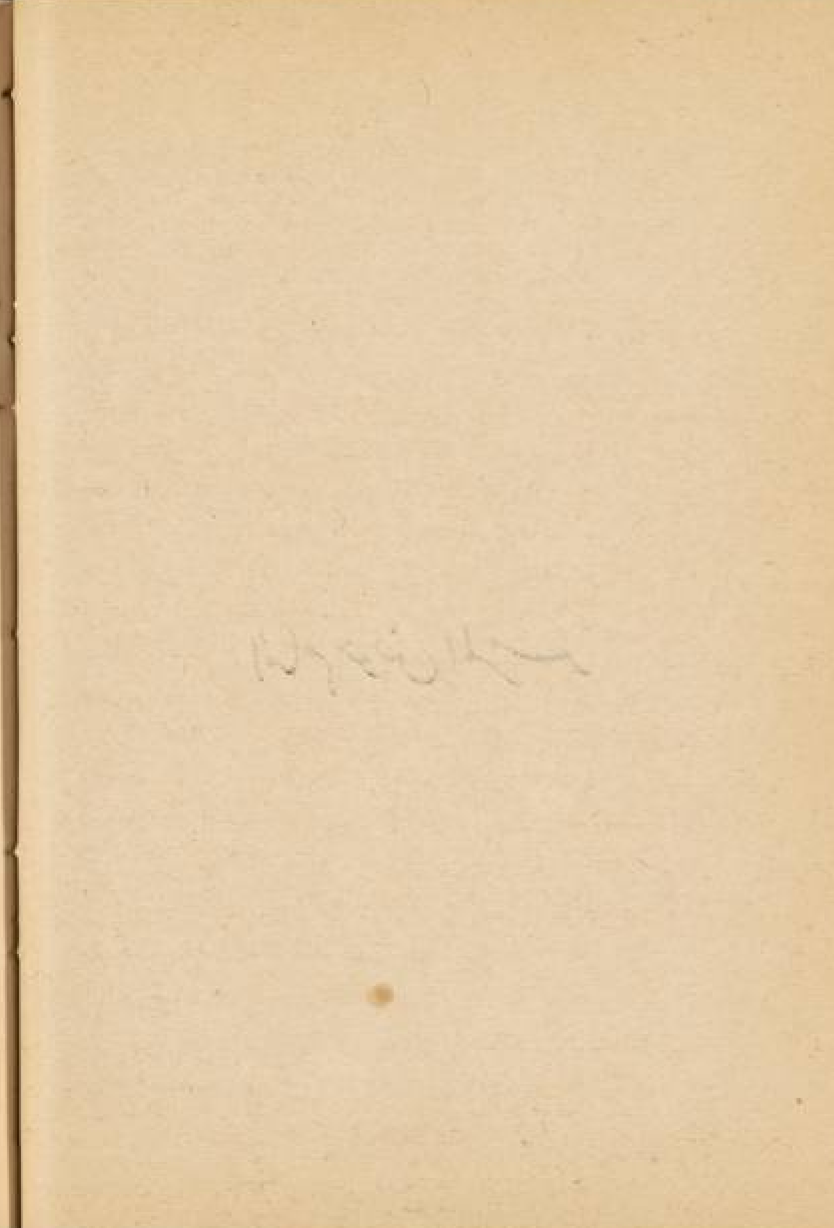
ـ انى ابغضك . . . امقتك . . . ابغضـك من اعماق قلبى

ـ سبحان الله ! اقسم ان لا فائدة من مناقشة امراة تحب





أمام حوض المرمر



فى ليلة من ليالى وحـــدتى الطويلة ، تاقت نفسى الى انيس . فذكرت الملكة « شهر زاد » . وهى ايضا من مخلوقاتى الجميلات . فقلت : لا يؤنسنى الليلة غيرها . فهبطت الى قصرها . كما هبطت الى الاميرة «بريسكا» من قبل . نعم .. ! وهل يؤنس مثلى الا الملكات والاميرات ! ان عالمى الزاخر باللآلىء والحلى والتيجان هو دائما فى خدمتى ! هذا كل عزاء مثلى من « الخالقين » المتدثرين فى سحب « عزلتهم » الباردة !

ذهبت الى شهرزاد ، فوجدتها متكئة على الوســائد تنظر باسمة فى حوض من المرمر ، قد انعكست اشـعة عينيها الذهبيتين على مائه ، فاتخذت صفحته الهـادئة لونا غريبا .. وجلس بين يديها الوزير الجميل « قمر » فى اطراقه وحيائه ونفسه الزاخرة بالوان العواطف الجميلة المكتومة . وكان بينهما هذا الحديث :

شهر زاد — (فى مكر) اراك يا قمر تسرف فى اطرائى وتبخس قدر صديقك شهريار

الوزير — لم ابخس قدره

شهرزاد — (فى مكر) يخيل الى انك نسيت ما بينكما من ود عجيب

الوزير ـ (فى حدة) لم انس شيئا

شهرزاد ـ (فى خبث) بلى !

الوزير ـ (فى حدة عمياء) انى لم انس شيئا . انما ابين لك لماذا انت تحبينه اسمى الحب ، فلا تزعمى لى غير هذا مرة اخرى . انى لست اخدع . لست اخدع . لست اخدع

شهرزاد ـ (هادئة) قمر ؟ ماذا دهاك ؟

الوزير ـ (يثوب الى رشده) مولاتى مغفرة . انى . .

شهرزاد ـ انك احيانا لا تملك نفسك

الوزير ـ انى . . اردت ان اقول انك غيرته ، وانه انقلب انسانا جديدا منذ عرفك

شهرزاد ـ انه لم يعرفنى

(وهنا يسمعان طرقا شديدا فقد طرقت انا عليهما الباب)

الوزير ـ (يرهف السمع) هذا هو

شهرزاد ـ ان شهريار يحمل دائما مفتاحه ولا يدخل القصر الا من سردابه

الوزير ـ من الطارق اذن ؟

شهرزاد ـ اذهب وجئنى بالخبر

(الوزير يخرج مسرعا)

شهرزاد ـ (كالمخاطبة لنفسها) مسكين انت ياقمر !

(الوزير يعود على عجل)

قمر ــ مولاتى ! اتدرين من الطارق ؟ رجل عجيب الزى ، يقول انه المؤلف ، ويلتمس المثول بين يديك

شهرزاد ــ (فى عجب) المؤلف ؟ اى مؤلف ؟

قمر ــ لم افهم مراده . انما هذا ماقاله لى

شهرزاد ــ ادخله لنتبين امره

قمر ــ افى مثل هذه الساعة من الليل ؟

شهرزاد ــ وماذا يضير ؟ انك معى

قمر ــ نعم سالبث معك

شهرزاد ــ (كالمخاطبة لنفسها) المؤلف ؟اتراه احد السحرة قد ارسل فى طلبه شهريار ؟

وقادنى قمر الى شهرزاد ، فدخلت اتامل المكان وانظر الى عجائب القصر . وراتنى شهرزاد وتاملت زيى قليلا . ولكن حسنها وهيبتها لهما عين السحر فى نفوس الخالقين والمخلوقين فوقفت اقول ماخوذا :

ــ مولاتى . . .

ــ ماذا بك ؟

ــ اانا بين يدى شهرزاد ؟

فهمس فى اذنى الوزير الجميل :

ــ نعم انت فى حضرة الملكة العظيمة

فقلت كالمخاطب لنفسى :

ــ نعم ، لايمكن لهذا الجمال أن يكون لغيرها

ورات الملكة الجميلة مابى فقالت لى :
ــ بم تهمس كمن به مس ؟
ــ مغفرة ايتها الملكة ، انى . . .
ــ لماذا تنظر الى هكذا ؟
ــ هذا الجمال . . .
فالتفتت شهرزاد الى وزيرها قائلة :
ــ ارايت ياقمر ؟ انك قد جئتنى آخر الليل بمعجب مفتون
فنظر الى قمر قائلا فى شىء من الحدة :
ــ ماذا جئت تصنع هنا ايها الرجل ؟
فقلت همسا :
ــ لست ادرى . .
ثم عدت الى تأمل شهرزاد . فقالت :
ــ ارجو منك ان لاتطيل النظر الى هكذا
فقلت :
ــ مولاتى ! لا استطيع
فقالت وهى تبحث بعينيها الفاتنتين :
ــ اين الجلاد ؟
فقلت :
ــ نعم ، خير لك ان تامرى بى فتطاح راسى من ان تطلبى الى ان لا اعجب بك
ــ اترانى حقا جميلة ؟

ـ نعم

ـ ان لى جسدا جميلا ! اليس لى جسد جميل ؟

ـ ليس الجسد وحده

ـ اقترب

ـ كلا

ـ لماذا ؟

فاشرت الى حوض المرمر :

ـ هذا الحوض ...

ـ ايخيفك هذا الحوض ؟

ـ اخشى ان تزل قدمى فاسقط وانا لا احسن السباحة

ـ انه قليل الغور

ـ لاشىء عندك قليل الغور

فتفرست شهرزاد فى وجهى وقالت :

ـ عجبا ! انك تتكلم كما يتكلم شهريار : من انت ؟

ـ خادمك توفيق الحكيم

ـ اتعنى انك صاحب توفيق ام انك صاحب حكمة ؟

ـ لاهذا ولاذاك ، ولكنه اسم من الاسماء

ـ وما صناعتك ؟

ـ اؤلف القصص

ـ مثلى ؟

ـ لم ابلغ شاوك ، وليس لى ذكاؤك ولا خيالك
ـ انك تسرف فى اطرائى وتبخس قدر نفسك
ـ قدر نفسى ؟ وما ادراك به ؟ وهل عرفت لى قصصا على الاقل ايتها الملكة ؟
ـ كلا . ماذا صنعت انت من القصص ؟
ـ قصة «شهرزاد»
فظهر العجب على وجه الملكة :
ـ انا ؟
ـ نعم انت
ـ متى صنعتها ؟
ـ ليس يعنى الزمن الذى صنعت فيه
ـ اصنعتها فى الماضى ؟
ـ بل فى المستقبل
ـ فهمت . هذا الزى العجيب ..
ـ نعم . انى اهبط اليك الساعة من المستقبل الذىاعيش فيه لالقاك فى الماضى الذى فيه الآن تعيشين ، كما يهبط الطائر من الشمال الى الجنوب فى غابة متسعة الارجاء
ـ يا للعجب ! كلامك هذا يذكرنى بشهريار
ـ اترين هذا ؟
ـ لكنك اهدا نفسا منه
ـ نعم ، الآن

ونظرت شهرزاد الى مليا :
ـ انى اعجب كيف ان القدر لم يجمع بيننا قبل الآن ؟
ـ لقد جمع بيننا دائما
ـ اين ؟
فاشرت الى قلبى وقلت :
ـ هنا
فقالت فى عجب وهى تشير الى قلبى :
ـ هنا ؟
ـ نعم . ومن هنا خرجت انت الى الوجود فما انت الا صنع النار والنور الكائنين هنا
واشرت مرة اخرى الى قلبى . فقالت باسمة :
ـ هذا جميل
ـ ارايت من اى مادة انت مصنوعة يامخلوقتى العزيزة !
وتململ قمر ، فقال مشيرا الى فى عنف :
ـ من هذا الرجل ؟
فقلت فى الحال :
ـ صه ايها الوزير . فكر فى شأنك انت ، ودعنى فيما انا فيه . فما جئت الليلة الا من اجل شهرزاد
فقالت شهرزاد فى ابتسامة عذبة :
ـ جئت من اجلى ؟
ـ نعم

ــ وماذا تريد منى ؟
ــ اريد ان اعيش الى جانبك
وهنا ثار غضب قمر فصاح بى :
ــ ايها الرجل ! من انت ايها الرجل ؟
فقلت له هادئا :
ــ انا كائن اشقى منك حالا
فقالت شهرزاد :
ــ لماذا ؟
ــ لأنى اشعر ببرد الوحدة يكتنفنى فى تلك السماء ذات السحب
فقالت باسمة :
ــ ويل للخالقين !
ــ صدقت ، اجل ياشهرزاد لولم يعش الخالق فى مخلوقاته لقتله برد الوحدة
ــ تريد اذن ان تهبط الى الارض
ــ لقد قلتها انت مرة ياشهرزاد : لاشىء غير الارض !
ــ أين شهريار يسمع منك ؟ وهو الذى هجر الارض يريد السماء !
ــ لاتخشى عليه من باس . سوف يعود اليك
ــ متى ؟
ــ يوم يعلم ان السماء فى الارض

ــ ياهذا .. اريد منك شيئا ..

ــ ماذا ؟

ــ امنحك قبلة .!

ــ تمنحينني قبلة ؟

ــ نعم

ــ وهبتها قمرا

فنظر قمر الى شهرزاد مستنكرا قولى وصاح :

ــ مولاتى !

فقلت له :

ــ خذها ايها الابله . من ذا الذى يرفض قبلة من شهرزاد ؟

فلم يحتمل قمر الرقيق اكثر من ذلك فخرج سريعا فقلت :

ــ هرب الاحمق

وعندئذ نظرت الى شهرزاد مليا وقالت :

ــ عرفتك اخيرا

ــ عرفتنى ؟ من انا ؟

ــ انت هو ؟ ام انك تعيش فيه ؟

ــ من هو ؟

ــ شهريار !

فقلت مضطربا :

– لست ادرى . . . هذا سؤال لاينبغى ان يوضع ولاينبغى ان يلقى على

فقالت :

– اذن ارتفع . فما انت الا شبح من الاشباح

– شبح من ؟

– شبح شهريار !

– لاتقولى هذا . انما هو الشبح وانا الحقيقة

فقالت :

– امام الابد هو الحقيقة التى ستبقى وهو خالقك وهو مخلدك ، وما انت الا خيال سوف تتبعه صاغرا على مر الايام وان ذكر اسمك على الدهر فانما يذكر خلف اسمه . انك تزعم الآن انك صانعنا وخالقنا امام ذلك الزمن المحدود ، وانما نحن فى الحقيقة صانعوك وخالقوك فى الغد امام الخلود

– ويل لى

– ماذا بك ؟

– انا عندك شبح ؟ تلك هى السخرية الكبرى ! فى وحدتى ينخر فى نفسى الشك . فاذا هبطت بينكم التمس اليقين ، علمت انى شبح لاحقيقة ، وانى وليد صنعكم انتم امام الدهور

فقالت :

– كل شىء يصنع كل شىء . . .

ـ نعم .

ـ ليس هناك الا حقيقة واحدة

ـ ماهى ؟

ـ اننا جميعا لسنا حقيقة

ـ وانا معكم ؟

ـ وانت معنا لا فرق بينك وبيننا

فتاملت قولها لحظة ثم قلت :

ـ صدقت ! ولا امل لى مع ذلك فى ان اعيش الى جانبك ؟؟

فقالت :

ـ اليوم كلا

ـ ومتى اذن ؟

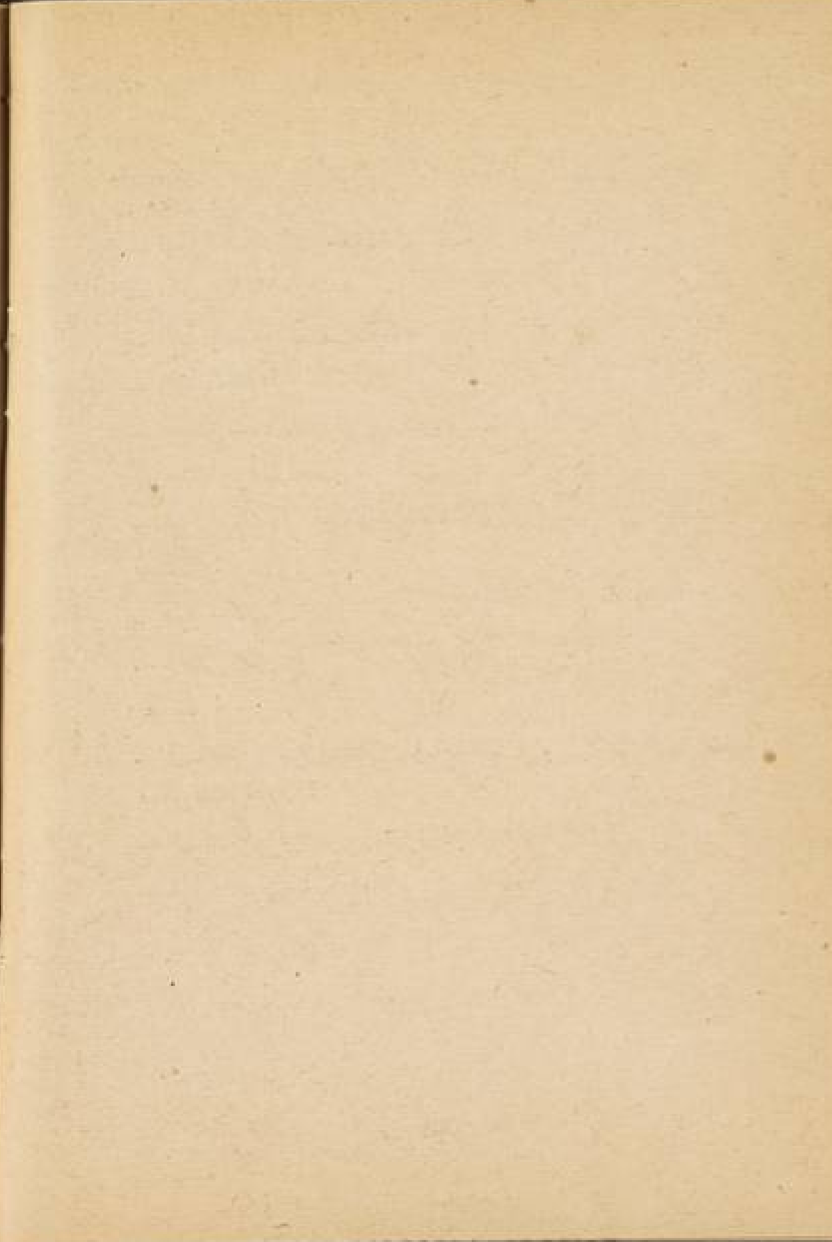
فقالت :

ـ فى الغد ، يوم تصبح من مادتنا ، لو ان لنا اليوم مادة

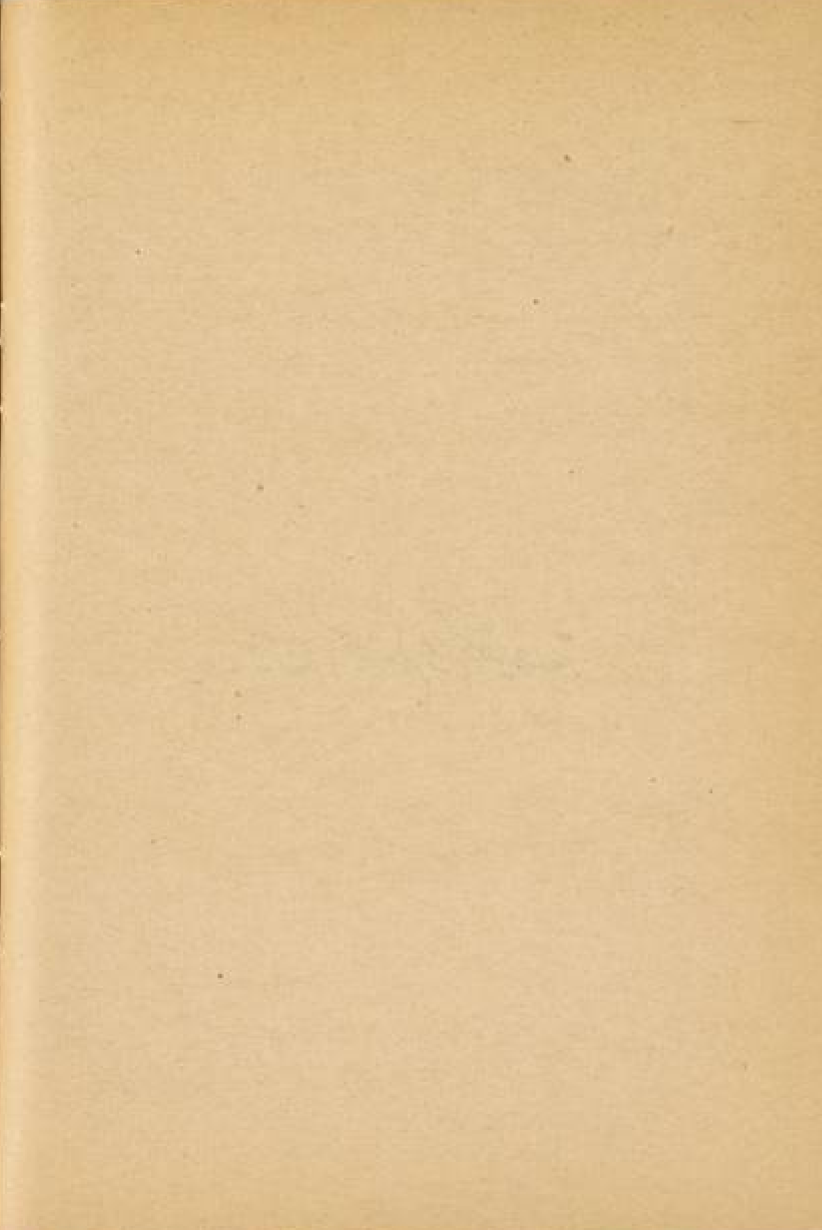
فاطرقت قليلا :

ـ فهمت . وداعا ياشهرزاد

ـ الى الملتقى !



بين الحلم والحقيقة



« احدهما شبح الآخر »

«هو» : صانع تماثيل ، قد جلس امام تمثال صنعه لاميرة فرعونية

«هى» : زوجته ، جميلة تشبه التمثال

هو

(يرنو الى التمثال)

نفريت ! ما اجملك ! عيناك فى صمتهما العجيب تابوتان لامعان ، يرقد فى احدهما الحب ، وفى الآخر . . . الحب

هى

(لزوجها الفنان)

الن تكف عن مخاطبة هذا التمثال الصخرى ؟

هو

نفريت ليست من الصخر

هى

انك جننت

هو

انى احب

هى

تحب تمثالا من الصخر ؟

هو

انها ليست من الصخر ، اللصخر حرارة وانفاس ؟

هى

تلك حرارتك وانفاسك

هو

نفريت ! . المس جسمك الحار فيرتجف جسمى الملتهب

هى

انما جسمك يلتهب من الحمى

هو

ما اجملك يا نفريت ! راسك ذو الشعر الاسود شمس من الابنوس . راسك اللامع كرة ساحرة تبهر بصرى وتثقل راسى . اننى اشعر الآن بدوار

هى

(ترده عن التمثال)

لا تطل النظر الى هذا الصخر اللامع

هو

دعينى يا امراة !

هى

كلا . لن ادعك هذه المرة . لقد ضقت ذرعا بهذا التمثال ... لا تحدق فيه ببصرك ... انك تحلم .. اقسم انك فى حلم

هو

دعينى ياامراة !

هى

اصغ الى لحظة ، اتوسل اليك ان تصغى الى

هو

نفريت . ما اجملك يا نفريت ! . صـــوتك الرقيق فراش جميل الالوان يطير فى لطف ورقة من جوف زنبقة حمراء !

هى

وصوتى أنا ، الا تسمعه ؟

هو

نفريت !

هى

انما انا التى تحبك . . . الا تسمع صوتى انا ؟ الم يعد رقيقا كأجنحة فراش جميل الالوان ، وشعرى . . . الم يعد شمسا من الآبنوس ؟ لم تنادى نفريت بما كنت تنادينى به من قبل ؟

هو

نفريت ! لن يصنع مثلك بغير ان تفنى عبقرية الف اله . ولن يخلق نظيرك اله دون ان يجن !

هى

ايها المجنون ... لا سواى فى الوجود ! .. انظر الى انا ... لم تنعت نفريت بما كنت تنعتنى به من صفات ؟

هو

بى ظمأ اليك يا نفريت !

هى

وأنا ؟ .. اما بك ظمأ الى ؟ .. لماذا لا تأخذ راسى بين يديك كما كنت تفعل ، لترتشف من فمى عصير اللآلىء ؟

هو

قبلات نفريت ... عسل من نار ، بل خمر من عصير اللآلىء فى كأس من نار ...

هى

ويحك ! تلك صفاتى ... اسمائى التى كنت تطلقها على انا وحدى ... انا جمالك الوحيد ، انا عندك منبع الحسن الخالد

هو

من انت ؟

هى

من انا ؟ ! الا تعرفنى ؟ انى ابغضك

هو

انها لا تبغضنى . انها تحبنى ، انها لا تحب «اسرتسن» ... آه ... الغيرة

هى

الغيرة ؟!

هو

جعران مخيف يسير فوق شغاف قلب ...

هى (تضحك)

انا ؟ اغار من تمثال ؟ اغار من تمثال ؟ انا اغار من جمال كاذب !

هو

انا الذى يغار من زوجها «اسرتسن» . انه الى جانبها ابدا ... فوق عرش واحد ... تحوطهما هالة من انفاس الآلهة ... وتحفهما العبيد بمراوح النخيل

هى

انت فى حلم . اقسم انك فى حلم

هو

بل فى يقظة هنيئة ... انها معى ابدا ، انها ترنو الى بعينين من ذهب

هى

ايها النائم ... وعيناى انا ... الا تراهما ؟

هو

من انت ؟

هى

انظر الى عينى

هو

عيناك من نحاس

هى

انك لم تبصرهما ، انت لا تريد ان تبصرهما ، آه . لم صنع هذا التمثال ؟

هو

نفريت ... راسك اللامع بين يدى كوكب اسود بين يدى اله ، كوكب لانهار له

هى

ورأسى انا ايها المجنون . الاتراه ؟

هو

من انت ؟

هى

انظر الى شعرى الاسود اللامع

هو

راسك ليل له نهار

هى

انى امقتك مقتا شديدا . وابغضك اكثر مما تبغضنى ، وامقت من تحب ، وابغض هذا التمثال

هو

نفريت ! انت لى وحدى ؛ انت كوكبى ، فلنسبح سويا فى بحار الفضاء تاركين خلفنا اسرتسن ... ولنبحث عن جزيرة الهناء الدائم ... تلك الجزيرة التى خلقتها الآلهة لانفسها ثم فقدتها ... هلمى بنا نبحث عنها معا فربما كان حظنا اوفر من حظ الآلهة

هى

اقسم انك فى حلم ، لكنى ساوقظك

هو

نفريت ... جزيرة الهناء الدائم ليست فى محيطات الفضاء كما تزعم الآلهـــــة ... عبثا تبحث عنها الآلهة فى محيطات الاثير ... جزيرة الهناء الدائم المفقودة لا يعرف مقرها غيرى .. ميلى باذنك نحوى كى اهمس لك بمكانها اتدرين اين جزيرة الهناء الدائم ؟ هى ليست فى محيطات الفضاء ، هى فى محيط ... عينيك

هى

محيط عينيها ... ساجعلك تفيق من تاثير عينيها . انظر ! ماذا ترى بيدى ؟

(تاتى بمطرقة من الحديد)

هو

لا تقربى نفريت

هى (تحطم راس التمثال)

انظر هذا الكوكب الاسود تمحوه المطرقة !

هو

آه . . .

هى

وهذا الجسد الجميل الحـــار يتفتت قطعا باردة تحت ضربات المطرقة . .

هو

آه . .

هى

والآن . . انهض واجمع اجزاء نفريت الخالدة ! !

هو (يفيق)

اين انا ؟ . . احس دوارا ، اين الراس اللامع ؟

هى

ها هى ذى تحت قدمى نفريت وراســها اللامع . . . وعيناها اللامعتان اللتان انامتاك طويــلا . . الآن انت لى وحدى

هو

اين انا واين كنت ؟

هى

لست ادرى اين كنت !. انما انت الآن هنا معى وقد عدت الى ..

هو (ينظر اليها مليا)

ايتها العزيزة ، أنا هنا معك ! اجلسى الى جانبى

هى

لماذا تطيل الى النظر هكذا !؟

هو

كأن راسك شمس سوداء ..

هى

بل ليل له نهار ..

هو

كوكب من الآبنوس ... وعيناك ، كأن عينيك من ذهب ..

هى

عيناى من نحاس ..

هو

عيناك بحيرتان صافيتان يسبح فى احداهما الحب وفى الاخرى ... الحب !

هى

الى هذا القول ام لتفريت ؟

هو

من نفريت ؟

هى

الا تعرفها ؟

هو

لا اعرف سواك يا عزيزتى فى الوجود . ما اجملك ! كم اود ان اتناول راسك الآبنوسى بين يدى وارشف من فمك رحيقا فى لون الورد . بل خمرا من عصير اللآلىء فى كاس من ورد

هى

ارجـــو منك الا تخاطبنى بمـــا كنت تخاطب به نفريت ..

هو

من نفريت ؟

هى

الم ترها ؟

هو

كلا ... لم ار غـــيرك . انى اريد ان ابحث فى محيط عينيك عن الهناء الدائم

هى

دعنى ! انك ترى فى الآن ماكنت ترى فى الاخرى

هو

من هى الاخرى ؟ ليس فى الحياة غيرك انت ، لان الطبيعة لن تخلق ســـواك . واى اله يصنع مثيلك دون ان يتهم بالتزييف !

هى

آه ! هذا ما قلته لها ايضا ! ..

هو

لمن ؟

هى

أترى ...

هو

ماذا ؟

هى

ترى أكنت انا هى ؟ أم شبحها ؟

هو

من هى ؟

هى

أشربت شيئا ؟

هو

كلا ..

هى

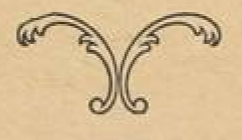
اتذكر اسطورة « السكير وزوجته ؟ » لقد كان يسرق حلى زوجته كي يسبغه على خليلته ، ثم يسرق حلى خليلته كي يخلعه على زوجته

هو

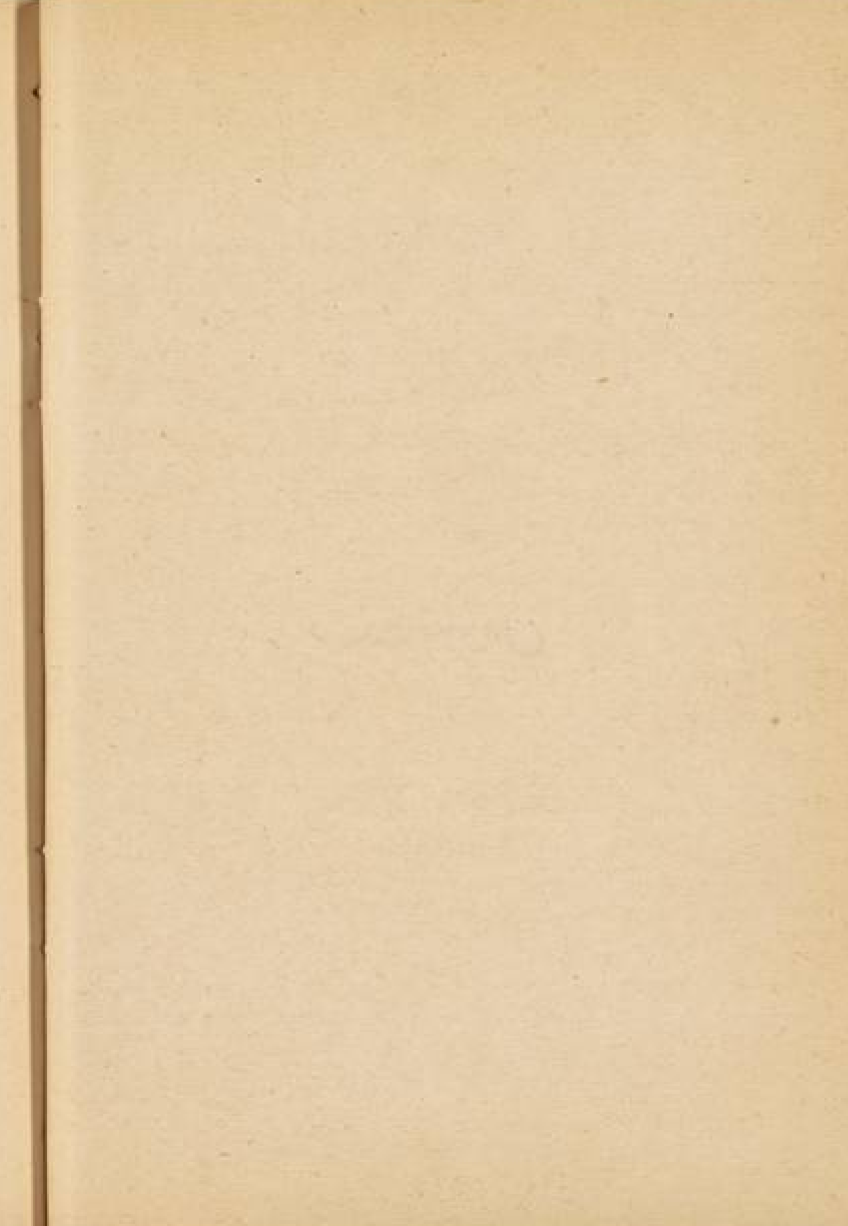
ومن خليلته ؟

هى

زوجته ..



عدو إبليس



« عزرائيل » وقد انصرف عن دار النبى « محمد » بعد وفاته . يرى « ابليس » مقبلا فرحا مبتهجا

ابليس – هل قبضت روحه ؟

عزرائيل – وما شانك وهذا ، اخزاك الله ؟

ابليس – نعم ، نعم ، لقد مات . اليس هذا صوت ابنته فاطمة تبكى وتصيح : « ابتاه ، ابتاه . اجاب ربا دعاه ، ياابتاه ! جنة الفردوس ماواه ! ياابتاه . الى جبريل ننعاه . »

عزرائيل – وما يعنيك من هذا الامر ؟

ابليس – أو ليس هذا ايضا صوت زوجته عائشة فى بكاء وشهيق : « واحر قلباه ! وامصيبتاه ! الآن قد انقطع عنا خبر السماء ! »

عزرائيل – اغرب عن هذا المكان !

ابليس – ثم ها هو ذا صوت نسائه كلهن يبكين : « واثكلاه ! واثكلاه ! »

عزرائيل – اغرب عن هذا المكان !

ابليس – ما أجمل هذا النهار . . . ان نفسى لتكادتتفجر شعرا وغناء . اصغ الى هذه الاغنية :

ذهب عدوى الى الفناء

اليوم عيــدى فالى الغنـــاء

عزرائيل ـ صه قبحك الله وقبح صوتك !

ابليس ـ صوتى منذ اليوم يستطيع ان ينطلق حرا فى ارجاء الارض . صوتى منذ الآن يستطيع ان ينفذ الى تلك القلوب التى كانت تميل عنى لتتلقى اخبار السماء . نعم الآن قد انقطع عن الارض خبر السماء . لقد عاد الى ملك الارض من جديد ... وافرحتاه ! وافرحتاه !

عزرائيل ـ خسئت ! ان نور السماء قد نفذ الى قلوب النـاس ، فهيهات بعد اليوم ان يصغوا الى صوتك !

ابليس ـ انك لا تعـرف الناس مثلما اعرفهم . انى اعرف كيف امر باناملى مرا رقيقا على أوتار قلوبهم، فيذهلون، واغنى بصوتى هذا غناء شجيا فيطربون ... انك لا تعرف ما هى الاغانى التى اغنيها لهم . انى اغنيهم اغانى الارض لا اغانى السماء ! ان السماء تنير قلوبهم حقيقة ... ولكن لاجل قريب . لا تنس انهم خلقوا من طين الارض . لاشىء يهز كيانهم غير اغانى الارض !

عزرائيل ـ انهـم من الارض ولكن اعينهم تتطلع الى السماء

ابليس ـ نعم ، عند ما يشير لهم اليها النبى بأصبعه ، فاذا ولى ... عادت رؤوسهم تنخفض نحو الارض . انهم كالسنبلة التى لا يرفعها غير الاصبع ، فاذا تركت سقطت

عزرائيل (كالمخاطب لنفسه) ـ عجبا ! ولماذا اذن رضى

الله ان يقبض نبيه ؟! ان لله حكمة ، أجل ، اجل . انسيت أيها الخاسر ان النبى انما يأتى للتبليغ ويمضى ؟ انه جاء بالدين . انه يذهب ولكن الدين باق . الدين هو الاصبع الدائمة التى لا تنفك تقيم المعوج . لا تفرح اذن كثيرابموت النبى . ما مات غير الجسد الزائل . اما المبادىء والتعاليم فهى قائمة فى وجه ريحك العاتية دائما ... ما الرسول فى الحقيقة غير الرسالة ... والرسالة لا تموت

ابليس ـ نعم .. نعم

عزرائيل ـ ما بالك وجمت ! ان على وجهك الآن لغبرة تزيده قبحا على قبحه ...

ابليس ـ الرسالة والدين والتعاليم ... هذا صحيح ... ولكن . تلك اشياء لم تخفنى قط ... فقداستطعت فيما مضى ان انزع عنها بعض قوتها ... ان المسيح قد بشر بالمثل الاعلى وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك فى الارض قديسين وخلفاء ساروا على سنته فى نبذ متع الارض والانقطاع مترهبين فى الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتاملون وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الارض التى من عناصرها صنعت اجسامهم ... هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم فى صور مختلفة تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخاطبت اجسامهم بالمنطق الذى تفهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التى تعرفها ... فاذا اكثر الناس يصغون الى فى أمور حياتهم ومعاشهم ولا

يذكرون تلك التعاليم والمبادىء السماوية الا يوم يجدون فى أوقاتهم فراغا للتفكير فى السماء . انى ذكى . انى لم ارد قط فى حربى ضد المسيح ان اقتلع المسيحية من النفوس ، ولكنى اظهرت فى لباقة ما فيها من علو شاهق لا يستطيع المخلوقون من تراب وطين ان يبلغوه ماداموا آدميين ... فليصغوا اذن الى اغانى الجسد واناشيد التراب والطين .. وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ ينفقه بعيدا عن الارض والحياة ... وبهذا اصبحت المسيحية الحق اليوم ترفا روحيا لا يقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين لم استطع ان اخاطب فيهم منطق الاجساد والعناصر

عزرائيل ـ لقد ادرك الله غرضك الاثيم فارسل محمدا بدين لا ينكر منطق الاجساد والعناصر ... دين لا يعرف الرهبنة ولا انكار قوانين الارض ... دين لا يكره ان يصغى أتباعه الى اغانى السماء والارض معا ... ما وسائل حربك اذن ضد محمد والاسلام ؟

ابليس ـ حقا ... تلك هى المشكلة ! لهذا كان ذلك النبى الد عدو لى !

عزرائيل ـ انه خاتم الانبياء لانه ضيق عليك الخناق ، وسد كل ثغرة يمكن ان تنفذ منها سمومك ... فماذا انت صانع ؟ ...

ابليس ـ دعنى افكر ...

عزرائيل ـ فكر طول الابد ... فلن تظفر

ابليس ـ بل لقد فكرت وظفرت ... الامر بسيط : يجب على ان اطمس خصائص هذا الدين ... انى خبرت الناس لطول لصوقى بهم وعشرتى لهم ... ان النـــاس يميلون دائما الى التشبيه ... هذه القرود الناطقة ... يصعب عليها التمييز والتفريق والنظر فى فلسفة الاشياء ... غدا عندما يوارى محمد فى التراب ... ويصبح ذكرا وطيفا كموسى والمسيح لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح ، بل ربما قبل ان يواروه فى الحفرة ... انظر .. اليس هذا عمر بن الخطاب احد خلفائه ؟ اصغ اليه ...

عزرائيل ـ اياك ان توسوس له بشيء

ابليس ـ اصغ اليه ...

(عمر بن الخطاب يقوم فى الناس صائحا)

عمر ـ لا اسمعن احدا يقول : ان محمدا قد مات ، ولكنه ارسل اليه كما ارسل الى موسى ، فلبث عن قومه اربعين ليلة . والله انى لارجو ان تقطـــع ايدى رجال وارجلهم يزعمون انه مات !

عزرائيل ـ عجبا ! ما هذا الذى يقول ؟!

ابليس ـ ارايت ؟ انهم قد شبهوه بموسى ولما يهيلوا عليه التراب !

عزرائيل ـ كذبت ! انما هى وسوسة منك !

ابليس ـ صه ! انظر ! هذا ايضا رجل من بين الناس يريد ان يقول شيئا ...

(ينهض احد الناس صائحا)

احد الناس ـ ان رسول الله قد رفع كما رفع عيسى وليرجعن !

عزرائيل ـ رباه ! ماذا اسمع !

ابليس ـ ارايت ؟ انهم قد شبهوه كذلك بعيسى ولما يدرجوه فى الاثواب !

عزرائيل ـ لست اصدق ما ارى وما اسمع

ابليس ـ لقد قلت لك انى اعرف منك بالبشر

عزرائيل ـ اللهم نورك ! كيف خفى على هؤلاء ان دينهم لم يكن تكريرا لما سبقه من اديان ! .. اللهم انك منزه عن اللغو والتكرار !

ابليس ـ ما ابهج هذا النهار ؟ الا تطربك اغنيتى :

ذهب عدوى الى الفناء
اليوم عيدى فالى الغناء

عزرائيل ـ آه ، لو استطعت ان ابطش بك ..

ابليس ـ اقبض روحى ان قدرت

عزرائيل ـ ليس لك روح يقبض

ابليس ـ بل لى روح لا تستطيع قبضه يداك الصغيرتان!

عزرائيل ـ يداى حقا لا تستطيعان ، ولكن يد رضيع تستطيع .. ان روحك ليزهق فى اليوم الوف المرات ... ان روحك لينطفىء فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ومحسن

ومحسنة وخير وخيرة ... ان روحك مارد من دخان يستطيع طفل بكلمة طيبة ان يحبسه فى قمقم من نحاس !

ابليس ــ ولكنى لا اموت ولا اذهب الى الفناء ... لانى سلطان الارض وروح الارض .. ولن اترك الارض مابقيت دودة تسعى فى الارض !

عزرائيل ــ ابق ما شئت فى الارض ولكنك لن تقوى على دحر اعدائك ...

ابليس ــ عجبا لك ! او لم تر كيف انى فى لحظة استطعت ان اغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها فى تجليته واظهاره وتوضيحه .. ؟ الم يذكر محمد قومه فى كل وقت انه بشر يوحى اليه ... وانه يحيا ويموت كبقية الناس .. وان دينه هو دين الحياة ... الذى يحل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه الارض .. وما دام دينه دين الحياة والفطرة والمنطق البشرى ... فلا ينبغى ان يؤلهه الناس كما الهوا المسيح ، ولا ان ينكروا امكان موته كما فعلوا مع المسيح ... اليس هذا معنى دينه؟ فكيف اذن بدل الناس الآن المعنى وانقلبوا يسيرون نحو فكرة التاليه ؟ ...

عزرائيل ــ انهم لم يغيروا شيئا ... ولئن وقع فى نفسك شىء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ماقال خوفا من الردة !

ابليس ــ ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد ... انهم اذن كانوا يعبدون محمدا !

عزرائيل ـ اللهم الق نورك فى صدور الناس !

ابليس ـ هيهات ! ان ما تسميه « وسوستى » قد استقر الساعة فى صدور الناس ...

عزرائيل ـ خسئت ايها الخاسر ... انظر ... انظر ..

ابليس ـ ماذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل ـ هذا ابو بكر يقوم فى الناس . . . اصغ اليه ...

(ابو بكر ينهض فى الناس صائحا)

ابو بكر ـ ايها الناس ... اما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ... ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت !

عزرائيل ـ وافرحتاه ... اسمعت ؟

ابليس ـ ؟ ؟ ؟

عزرائيل ـ انظر ايضا .. انظر .. هذا العباس يريد ان يقول شيئا ...

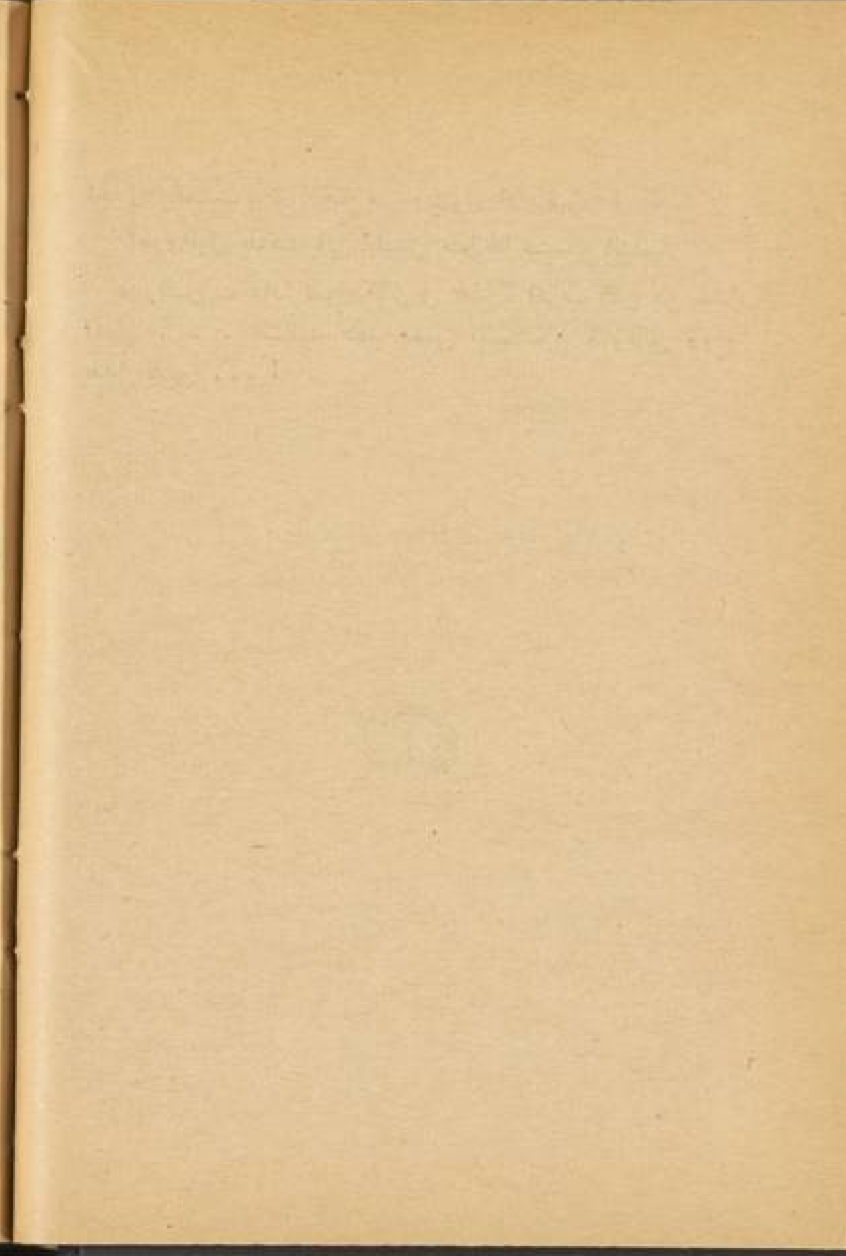
(العباس يقوم فى الناس صائحا)

العباس ـ ايها الناس ... والله الذى لا اله الا هو ، لقد ذاق رسول الله الموت ، وانه ليأسن كما يأسن البشر ... فادفنوا صاحبكم ... انه ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا ... احل الحلال وحرم الحرام ... ونكح وطلق وحارب وسالم ... وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس

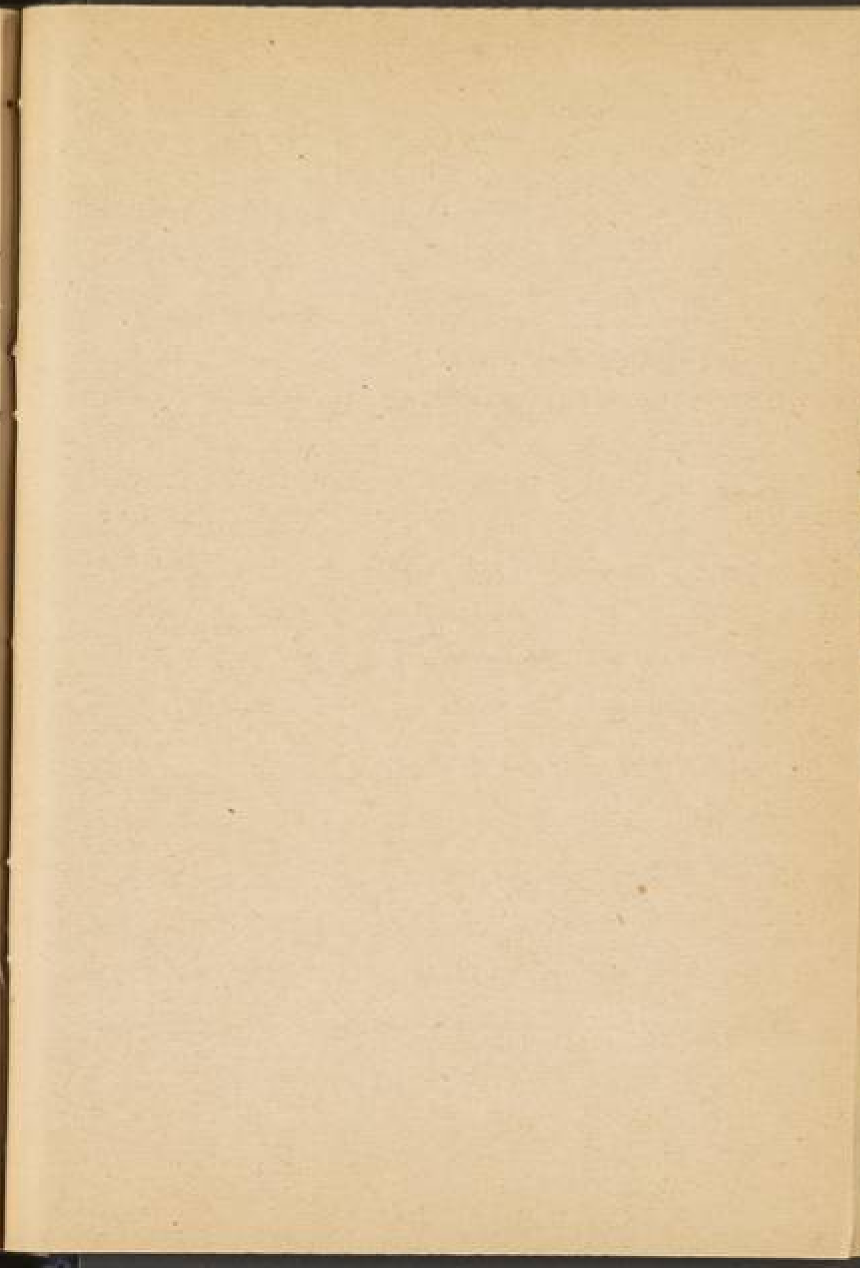
الجبال بانصب ولا اداب من رسول الله فيكم !

(عزرائيل يلتفت الى ابليس صائحا صيحة انتصار)

عزرائيل ـ ماذا تقول الآن فى هذا ؟ اغرب الآن عن هذا المكان . . . لقـــد ظهر معنى الاســلام ، وتألق روح هذا الدين . . . !



فوق السحب



حضر الى ذات صباح مندوب احدى الصحف ، واخبرنى ان مكانى محجوز فى الطيارة الذاهبة الى الاسكندرية فى اليوم الذى اختاره والساعة التى احددها فترددت ... ولكنه اسرع يقول لى :

ـ ان سفر الاستاذ بالطيارة له قيمته من الوجهة الصحفية !

فنظرت اليه بذهن شارد وقلت كالمخاطب لنفسى :

ـ واذا سقطت الطيارة بالاستاذ ؟!

فاسرع يقول دون ان يتبصر فى قوله :

ـ يكون أحسن واتم، فهو كذلك خبر له قيمته من الوجهة الصحفية !

فافقت فى الحال :

ـ شىء جميل !

وتنبه الصحفى لزلة لسانه وارتبك واعتذر :

ـ غرضى يا أستاذ ...

ـ غرضك ظاهر من أوله ...

ـ من يعلم ؟... ربما عدت الينا بالسلامة ...

ـ ربما !؟؟

ـ قصدى اقول انك ان شاء الله راجع بالسلامة منشرح الصدر غير نادم على المخاطرة ، وما فاز باللذة الا الجسور !

ومضى هـذا الابليس العصرى يزين الى لا الهبوط من السماء الى الارض ، بل ترك الارض والصعود الى السماء ! ويتحدث عن جمال الرحلة الجوية فى ذاتها بغض النظر عن المقال المطلوب . وتمت الغواية وقبلت آخر الامر،وانصرف عنى الصحفى راضيا ظافرا فى الحالين : مقالتى أو حياتى!!

وجلست افكر قليلا . لقد كان على ان اسافر حقيقة الى الاسكندرية بعد يومين لحضور عقد زواج أحـد الاصدقاء . وكان على أن اصاحب «العريس» من القاهرة الى الاسكندرية فقلت فى نفسى :

ـ فـكرة . لماذا لا اغرى « العريس » بالسفر معى فى الطيارة ؟..

ولم أضـع وقتا . وذهبت من فورى الى ذلك الصـديق السعيد فانباته الخبر واقترحت عليه هـذا السفر فاصفر وجهه :

ـ طيارة ؟!

وأطرق يفكر فى « حجج »يتذرع بها دفعا لهـذا البلاء ! وكانه اهتدى الى احداها فقال :

ـ انسيت أن معى حقيبة كبيرة بها « الفراك »والقمصان المنشاة وملابس اخرى داخلية وخارجية ؟

ـ اطمئن ! لكل راكب الحق فى١٥ كيلو زيادة علىوزنه.

فقال فى لهجة العزم القاطع :

ـ مستحيل !

ـ خفت ؟!

ـ ليس الخوف · لكنى لا أرى معنى للسفر بالطيارة

ـ المعنى كل المعنى فى سـفرك الآن بالطيـارة · فانت ذاهب الى عروسك التى تنتظرك · وليس أحب الى قلبهامن أن تعرف أنك ذاهب اليها طائرا من فرط الشوق أنسيت قول ذلك الاعرابى الولهان :

اسرب القطا من يعير جنـاحه
لعـلى الى من قـد هويت أطـير ؟

عـذر ذلك الاعرابى واضـح · أما أنت فما عذرك يامن تجد فى هذا العصر سربا من « قطا » شركة مصرذات الاجنحة القوية والمحركات الكهربائية ؟

فلمعت عين صاحبى وأعجبته فكرة الطيران الى عروسه · ووجد فيها شعرا وخيالا · فأذعن وقال :

ـ غلبتنى

وانصرف يعد العدة · وبقيت أنا امتع نفسى بلذة الظفر بنجاح الاغراء ·· ولا انكر انى احسست الاطمئنـان يجرى فى دمى · فانا أخشى دائما أن ينفرد بى « القدر » وجهـا لوجه · ويخيل الى أن بيننا مبارزة خفية سلاحها السخرية الخطرة · وأعتقد انه ينبغى لى أن اختفى دائما وراء منكبى

رجل كتبت له السعادة · تلك هى « التميمة » التى تقينى شر القدر · ان من الامثال الشعبية التى أحفظها مثلا أومن به : (ضع قدمك فى «مركوب» السعيد تسعد) · وهـذا « العريس » رجل سعيد طيب القلب والسريرة ممتلىءالجسم صحة وقوة وايمانا بالحياة ولا أظن ساعة مثله قد حانت · ويخيل الى أن من الناس من يشيح الموت عنهم بوجهه كما يشيح ابليس عن المصحف أو الصليب · من أجـل ذلك حرصت كل الحرص أن أكون في ركاب هـذا « السعيد » حتى لايرانى القدر ولا يجرؤ على النظر الينا بسوء

وجاء يوم السفر وذهبت الى المطار وجعلت عيناى الزائغتان تبحثان عن « العريس» في كل مكان ، ودق الجرس ووقفت الطيارة المسافرة تأخذ مؤونتها من الزيت والبنزين · وتم وزنى مع عصـاى « ستين » كيلو لا اكثر ولا اقل . وطلب الى موظف الشركة المبادرة بالركوب . فالتفت يمينا وشمالا فقال أحدهم :

ـ أتنتظر أحدا ؟

فأومأت بالايجاب · فقال :

ـ فات الوقت · ولن ياتى أحـد · والطيـارة قائمـة فتفضل !

عندئذ أدركت أن العريس قد هرب · وحدثتنى نفسى أن اتخلف أنا أيضـا وأعود أدراجى · ولـكن موظف المطار استعجلنى قائلا :

ـ من حسن حظك أنه ليس اليوم فى الطيارة غيرك

وجذبني من ذراعى فى رفق ومشينا حتى دنونا من السلم المدلى من باب الطيارة وليس بها أحد حقيقة ٠ولكن قد خيل الى أننى ارى فيها شخصا هو لا شك «القدر» أو «الشيطان» فىشبه بذلة رسمية سوداء وهويبتسم لى ابتسامة صفراء ٠ فما تمالكت وقلت للموظف فى ذعر :

ـ انا وحدى فى الطيارة ؟

ـ نعم من حسن الحظ ٠ فانت كأنك قائم بطائرة خاصة

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ أشكركم جدا ٠ لا ضرورة لقيام طائرة خاصة من أجلى ٠٠٠ هذا شرف عظيم ٠٠٠

وأردت ان ابتعد عن السلم وأن أهرب من المطار ٠٠ ولكن٠٠فجاة ظهرت سيارة تاتى مسرعة لمحت فيها الصحفى وكان قد أخبرنى أنه ربما جاء المطار لتوديعى ٠ ولعله فى واقع الامر ما جاء الا ليطمئن ويرانى بعينه صاعدا فى الجو٠ فلم أجد مفرا ٠ وعدت الى السلم صاغرا وانا الوح له بيدى فى غير حماس ردا على تحيته الخالصة وتوديعه الحار ٠ وأجلسنى الموظف المختص فى آخر مقعد قرب الذيل وأرانى مكان القطن أضعه فى أذنى اذا أزعجنى صوت المحركات ٠ وأرانى آنية من الورق تنفعنى اذا أصابنى دوار وقىء ٠ وأقفل على الباب ٠ ورفع السلم وأديرت المحركات ٠ وارتفعت وأنا أقول فى نفسى :

ـ اذا سقطت الطيارة فان الجرائد ستنشر الخبر تحت

عنوان « ولكن الله سلم » . وستزف التهانى، اذ لم يكن بالطيارة من حسن الحظ ركاب . فما اجمل هذه النهاية !!

ولم تلبث الطائرة أن امتطت الجو وثبتت عليه ومخرت فيه ولم يعد يخيل الى انى معلق فى فضاء . بل أن فكرة الفضاء نفسها قد ذهبت من عالم احساسى . وقلت فى نفسى :

ـ عجبا . كم من الاخطاء تسبح فى أذهاننا كأنها الجراثيم . كلمة « الفضاء » واحدة منها . ليس هناك فضاء . وان الطيارة لتسير على شىء هو اثبت مادة من الارض تحت عجلات القطار .. ونظرت من النافذة فاذا منظر لن أنساه . رايت القطر المصرى تحتى كأنه خريطة جغرافية كبيرة مصنوعة من الجبس الملون . وما أنا الا ذبابة أو مخلوق وهمى كمخلوقات « سويفت » يركب جناح بعوضة هائمة فوق هذه الخريطة . فهذا النيل العظيم بفروعه ورياحاته ليس الا قنوات صغيرة كقنوات الحارات فى اليوم المطير ، يلعب فيها الصبيان ويقيمون عليها السدود من الوحل والطين . وهذه المدن الصغيرة اوالكبيرة ليست الا خلايا نحل واعشاش عصافير ، وهذه الحقول والغيطان فهى عجب آخر : كل أرض مصر الخصبة ليست الا سجادة « مودرن » برسومها ذات الخطوط المربعة والمثلثة والمستطيلة . وقد صبغت بالاصفر والاخضر والاسود . ألوان ثلاثة هى وحدها التى تلعب

وتحرى وتتوزع فى أنحاء هذه السجادة كأنها أنغام ثلاثة فى قطعة موسيقية ...

ولم اشعر قط أنى اتحرك . ولكننى كنت أشعر ان أحدا يحرك قليلا تحت أنظارى هذه السجادة .. هى التى تتغير فى اوضاعها وتكشف لى عن بعض حدودها ودقائقها . اما انا فشيء ثابت ينظر من عل كأنه اله . وأمعنت النظر من الجهتين ومن النافذتين . فرأيت طرف السجادة الغربى قد تهدل على شبه رمال ... انها قد وضعت من غير شك فى صحراء . كما يضع الناسك سجادة الصلاة فى الخلاء

ولم يمض قليل حتى جذبت يد خفية هذه السجادة فاذا بى لا أرى غير الصحراء تحت أنظارى ، كأنها بحر قد عبث النسيم بوجهه الصافى وأثار فيه تموجات خفيفة رقيقة لم تمسها بعد اصبع . تلك بقاع بكر من الصحراء لا يمكن أن تفاجئها غير عين الله وعين بعض الطيور النادرة . أنا الآن أحدها بفضل هذه الاجنحة المصنوعة من القطن والخشب !

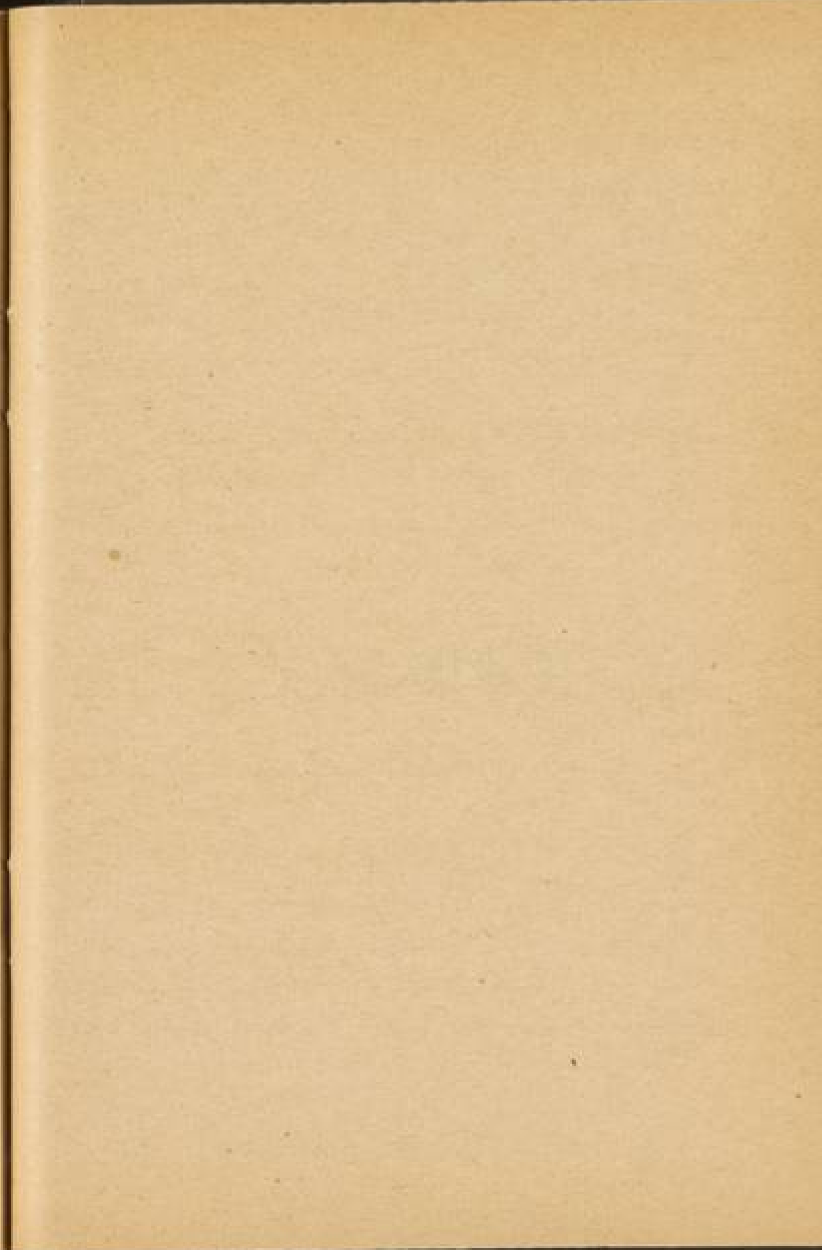
وذهب هذا البحر الاصفر . وبدأت عينى ترى أطراف ذلك البحر الازرق يبرق عن بعد كأنه فص فيروز فى كف الكون . واطلت النظر واقترب منى البحر حتى انطرح تحت أقدامى عاريا كتمثال امرأة ... من البلور . ورأيت فيه الثغر صغيرا كأنه يضحك .. عن بضع سفن شراعية بيضاء وبخارية كألاعيب الاطفال . فعلمت أنى قد وصلت سالما

وهبط بى ذلك الجناح السحرى . فاذا أنا فى مطار الدخيلة واذا الوقت الذى مضى بين القاهرة والاسكندرية لحظة كالحلم لم أفكر أثناءها فى موت ولا فى حياة ...

لقد كنت فى عالم لا يعرف الموت والحياة : لقد كنت فوق السحب !!



كن عدوا للمرأة



صحت فى يوم من ايام الربيع ، هب فيه على وجهى نسيم لطيف ووقعت فيه عينى على اغصان تتمايل وازهار مفتحة تتضاحك :

ـ ايها الشيطان ! يا شيطان الفن ! يا سجانى وجلادى ! اطلقنى من اغلالك قليلا ! انى اريد الحب ! انى اريد المراة !

فابتسم شيطانى ولم يزد على ان قال ساخرا :

ـ المراة مخلوق تافه !

ـ كلا

ـ بلى . انها ليست جديرة بك ايها الفنان الخلاق . انها مخلوق تافه من ضلع تافه ، صنعت من اضلاع آدم وخرجت من الجنة واخرجته بسبب تافه . فهى فى الحقيقة ماوجدت الا لتحشو ثغرات الحياة ، وتسد فراغ الايام والليالى بالاشياء التافهة

ـ ولكن المراة هى التى تدخلنا النعيم

ـ وهى التى تخرجك منه . وقد أخرجت آدم من قبل بالفعل . فاحذر ان تقبل جنة ونارا من صنع المراة . واحرص كل الحرص ان تكون سيد نفسك . وان تصنع لنفسك نعيما وجحيما لاتعرفهما المراة . ان جنتك لاينبغى ان يكون فيها حية ولا تفاح . فهى جنة هادئة صافية :

جنة الفكر والتأمل والخلق والابداع اذا دخلتها امراة حلت فيها الفوضى ، وانفرطت عقود درها المنظوم ، وتحطمت تماثيلها المرمرية . اما جحيمك فهو مملوء بعذاب الشك والقلق الفكرى ، وعذاب القصور عن ادراك الكمال الفنى ، آلام لاتفهمها المراة كذلك ولا يمكن ان تعترف بها . فانت ترى ان فى نفسك « منطقة مقدسة » لا اسمح ولا ينبغى انت ان تسمح لامراة بالدنو منها

ـ ولكن اتوق ان اعيش لحظة مع امراة !

ـ تستطيع ان تعيش دائما مع شبح امراة . ولكن اى امراة ؟! ان تلك التى سمحت لك بادخالها جنتك ينبغى ان تكون امراة لاككل النساء . انها النور بغير مصباح . وهى قطرات النشوة بغير خمر . هى عروس لها جسم المراة وكل شىء جميل فى المراة ، متدثرة فى رداء من خيالك الذهبى ، وكل ماهو جميل فى نفسك قد اسبغته انت عليها حللا رائعة . هى ملكة جنتك التى توحى اليك بخير ماتخرج وماتبدع . فالمراة التى لها شان فى حياتك هى كما ترى ينبغى ان تكون من صنع يدك ومن مخلوقات راسك

ـ ان الحقيقة احيانا ابرع من الخيال ، وان الحياة لقديرة احيانا ان تقذف الى سطحها بلؤلؤة فى شكل امراة تسطع من بين ملايين اصدافها . فلماذا ايها الشيطان لا تسمح لى مرة بما سمحت به للآخرين ؟

ـ لا استطيع ان اسمح لك ، ولست انت وحدك ، فلقد

وجدت هذه الاسطر الدامعة فى ورقة منفصلة بين مخلفات بيتهوفن : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذى يستطيع ان يجعل حياتى سعيدة . آه يا الهى دعنى اجدها اخيرا ، تلك التى فى مقدورها ان تدعم فضائلى ، تلك التى قد سمح لى ان تكون زوجتى » ، ومات بيتهوفن ولم يسمح له

ـ لماذا ؟

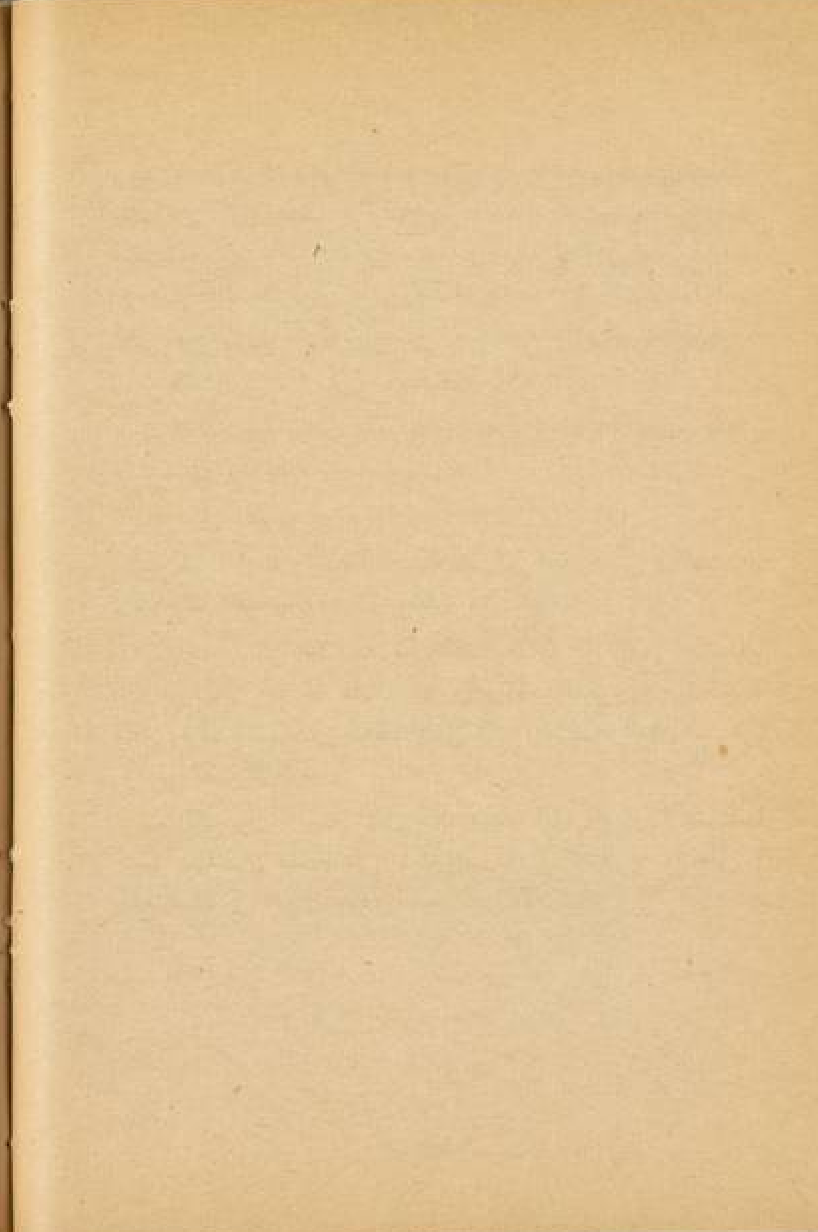
ـ لانك ايها الفنان عبقرية خالقة ، وجدت لتخلق وتعطى لا لتسال وتاخذ

ـ مثل الطبيعة

ـ نعم ، انت والطبيعة سيان . كلا كما يعيش فى الحرمان وكلا كما سر وجوده ان يعطى ولا ياخذ

ـ آه ، ولكن الطبيعة قوية جبارة اما انا فآدمى مسكين انها لا تتالم اما انا فاتالم اذ ارى الحياة تزول من تحت قدمى ولم يسمح لى بحظ قليل من الهنـــاء الذى يسخى به على بقية الآميين !

ـ الآدميين ؟ ومن قال انك منهم ايها الفنان ! عنـــدما كتب عليك ان تضع على منكبيك رداء « العبقرية والخلق » خلع عنك فى الحال بعض خصائص الادميين !



من الأبدية



لو كنت فى الابدية ماذا اشاهد ؟

لطالما خطر لى هذا السؤال كلما شاهدت جنازة مارة فى الطريق . ترى لو سمع الميت ما يقال خلف النعش من الكلام ماذا كان يصنع ؟ لوعلم ان هؤلاء المشيعين لا يتكلمون عنه طول الوقت . وان فيهم من يستنزل عليه اللعنة اذا طال المشى ، ولم يبد بعد اثر المسجد الذى سيصلى عليه فيه . وان منهم من يسلى نفسه وجاره فى اثناء السير بحكايات ونوادر قد تدعو الى الضحك والابتسام . وان منهم من يتكلم فى عمله وتجارته وبيته وغيطه . لو علم الميت ان كل ماخصه هو من كل هذا الكلام الذى يدور خلف خشبته لا يعدو دقائق معدودات ، وان كل ماانفق من وقت المشيعين فى الخشوع لجلال الموت لا يتجاوز لحظات ، وان الصمت الرهيب الذى كان يجب ان يحيط بنعشه لم يدم اكثر من دقيقة ، ثم بدا الهمس يعلو ، والهمهمة ترتفع ، والكلام والثرثرة يدويان بين الصفوف فى طنين كطنين الذباب ، ذلك أن الناس غير قديرين على نسيان انفسهم والسمو عن هذه الارض والارتفاع عن شئون حياتهم العادية الصغيرة اكثر من خمس دقائق

ومع ذلك ، لماذا تريد من الناس الوقوف امام الموت موقفا

اجل من هذا ؟ ان الموت لايجل ولا يعظم حقا الا فى نظر من يموت ، فى تلك اللحظة التى يشعر فيها المحتضر انه مفارق هذه الدار التى عرفها وعرف اهلها الى مكان مجهول ، فراقا لا رجعة بعده ، فى تلك اللحظة يرى المحتضر الدنيا تبتعد عنه كما تبتعد المحطة عن انظار المسافر فى قطار . ويرى دموع المودعين من الاهل والخلان تتساقط على باقات الازهار يقدمونها اليه فيخيل اليه ان ذهابه سيغير وجه الارض . ولا يعلم ان هؤلاء المودعين سينصرفون من باب المحطة الى شئونهم ضاحكين كأن لم يحدث شيء . ترى لو راى الميت كل ذلك فى صندوقه واعطى القدرة على الخروج منه والنهوض ، اما كان يصيح فى الناس :

ـ اتسمون انفسكم مشيعين ؟ انصرفوا ايها اللكعاء !

انى شخصيا لا اعتقد ان الميت يفعل ذلك او يقوله لو قدر عليه . ان الميت اذ يجتاز عتبة العالم الآخر ويدخل منطقة « الصفاء » ينظر الى الناس واحوالهم من عل كما ينظر الانسان الى سرب من النمل يحمل جناح صرصار الى ثقب فى اسفل الجدار . انه يستكثر على الناس مجرد التحرك فى تابوته لينظر الى مايفعلون . انه يستكثر على المادحين والقادحين حتى مجرد ابتسامة سخرية تعلو شفتيه الجافتين الباهتتين

فهذا السؤال الذى القيته على نفسى لا معنى له عند الميت . انما هو سؤال يمليه علينا غرورنا نحن الاحياء

على انى على كل حال لو تمنيت شيئا بعد الموت ، لرغبت فى ان اقول انا رابى فى الناس وقد تركتهم ، قبل ان يقولوا هم عنى شيئا . وهذا مستطاع . وقد فعل ذلك فيما اعلم أحد الامريكان او الانجليز غريبى الاطوار . اذ سجل خطبة له فى اسطوانة فنوغراف واوصى المشيعين ان يطلقوها على قبره تنطق بصوته وانفاسه وضحكاته وكلماته . فماذا يمنعنى ان اصنع مثله ، وان اقوم فى الناس خطيبا بعد موتى اقول فيهم :

– سيداتى وسادتى :

« اولا .. فلتجفف السيدات اعينهن حتى لايضيع كلامى بين الشهقات ، وحتى لا تضيع الدموع طلاء وجوههن وصبغة شفاههن ، وهذا هو المهم . فانى مازلت حريصا على ان تكون المراة جميلة . فالجمال هو العذر الوحيد الذى به نغتفر للمراة كل تفاهتها وحماقتها . عفوا . لقد نسيت انى ميت وانه ماكان يليق بى ان اوجه اليكن ايتها السيدات هذه الالفاظ فى مثل هذه اللحظة الرهيبة . انتن ولاريب تصغين الى الساعة والغيظ باد عليكن ، ولولا جلال الموت ، لالقيتن على قبرى احذيتكن ذات الكعب العالى ، ان كل ما ستفعلنه الآن عقابا لى وامتهانا لشانى هو ان تخفين فى الحال مناديل العبرات العاطرة وتخرجن اصابع الاحمر الناضرة ، وتنظرن فى مرآة الحقيبة الصغيرة وتهززن اكتافكن قائلة احداكن للاخرى : « والنبى الدموع فيه خسارة ! »

وهذا ما اريد ان اصل اليه . وهذه نصيحتى الثمينة لكن معشر الاحياء من النساء : حذار ان تتلفن هدبا واحدا من اهدابكن الجميلة من اجل شىء على هذه الارض . فان الارض كلها لاتساوى هدبا واحدا من اهدابكن !

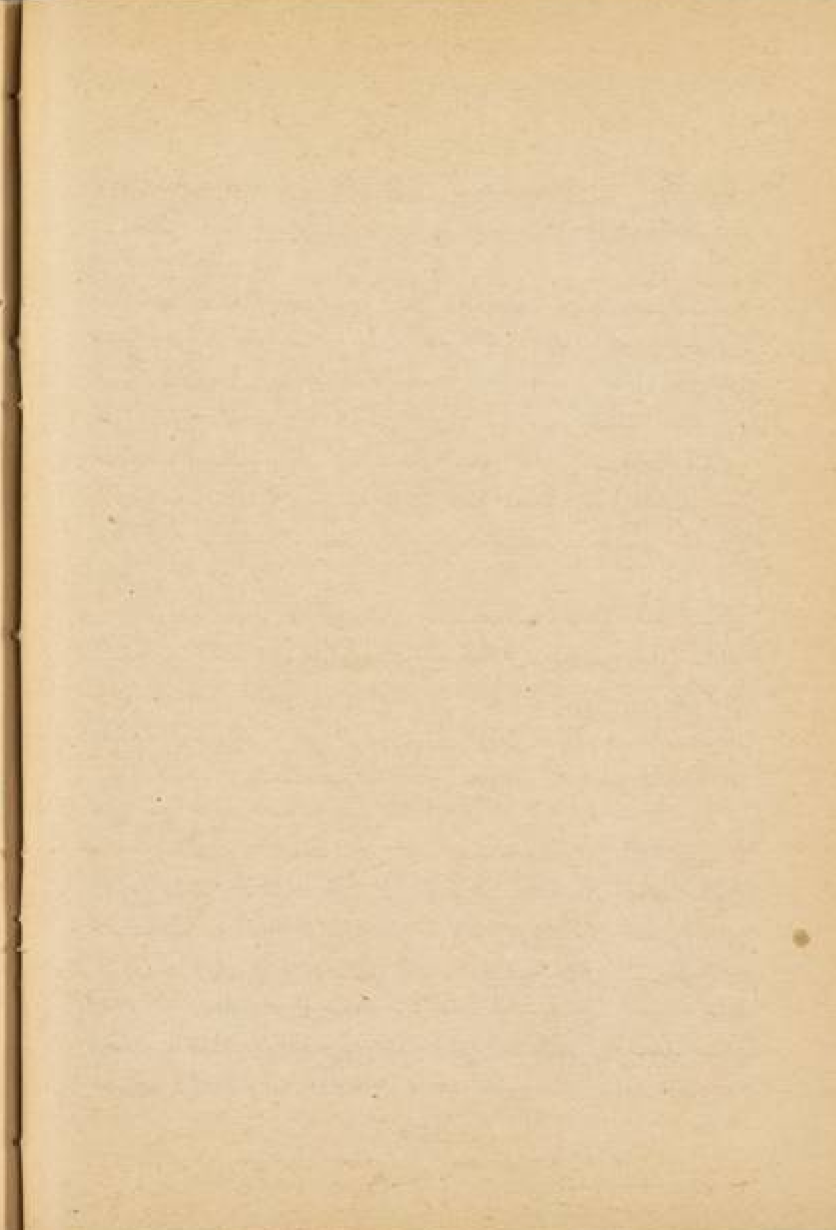
« اما انتم أيها الرجال والاصدقاء والمعجبون ، المرتدون السواد على فقيد الادب ، المحزونون لفداحة المصاب الجلل الباكون لمارزئت به العربية والناطقون بالضاد .. الى آخر هذا الهراء الذى سيملأ به خطباؤكم وشعراؤكم تلك المراثى البليغة والقصائد العصماء .. وانى لالمح الساعة جيوب بعضكم منتفخة بشعر ونثر قد كتب خاصة للتابين . ولعل اكثره قد وضع قبل الاحتضار حتى يكون معدا للالقاء فى الوقت المناسب . ولعل احدى تلك القصائد قد نشرت اليوم فى صحف الصباح بينما نشر الى جانبها خبر الوفاة كانما القصيدة العصماء قد خرجت من صدر صاحبها ساعة خروج روحى من صدرى! لم كل هذا الاسراع ؟ الا يتركنى الادب وشانى وقد صرت ترابا ؟ ايظل يلاحقنى شيطان الفن ويصيح فى اثرى وانا افر منه الى عالم ارجو ان لارى وجهه فيه ؟ اما يكفيه انه اضاع على حياة نابضة ، انا الذى صنعه خالقه من لحم ودم ، ووضعه فى دنيا جميلة زاهرة ، وقال له : « انطلق وعش حياتك فى هذه الحياة » . فلم افعل ذلك . ولكنى احلت لحمى ودمى الى ورق ومداد . آه .. انكم لو انصفتم معشر المشيعين لوضعتم جثتى مع كتبى واشعلتم النار فى كل هذا . عجبا . انى ابصر احدكم

وهو شاب فيما ارى لايريد ان يصدق مااقول . وان فمه ليرتجف كانما هو يريد ان يصرخ متحمسا : «فى ذمة الخلود ! فى ذمة الخلود ! »

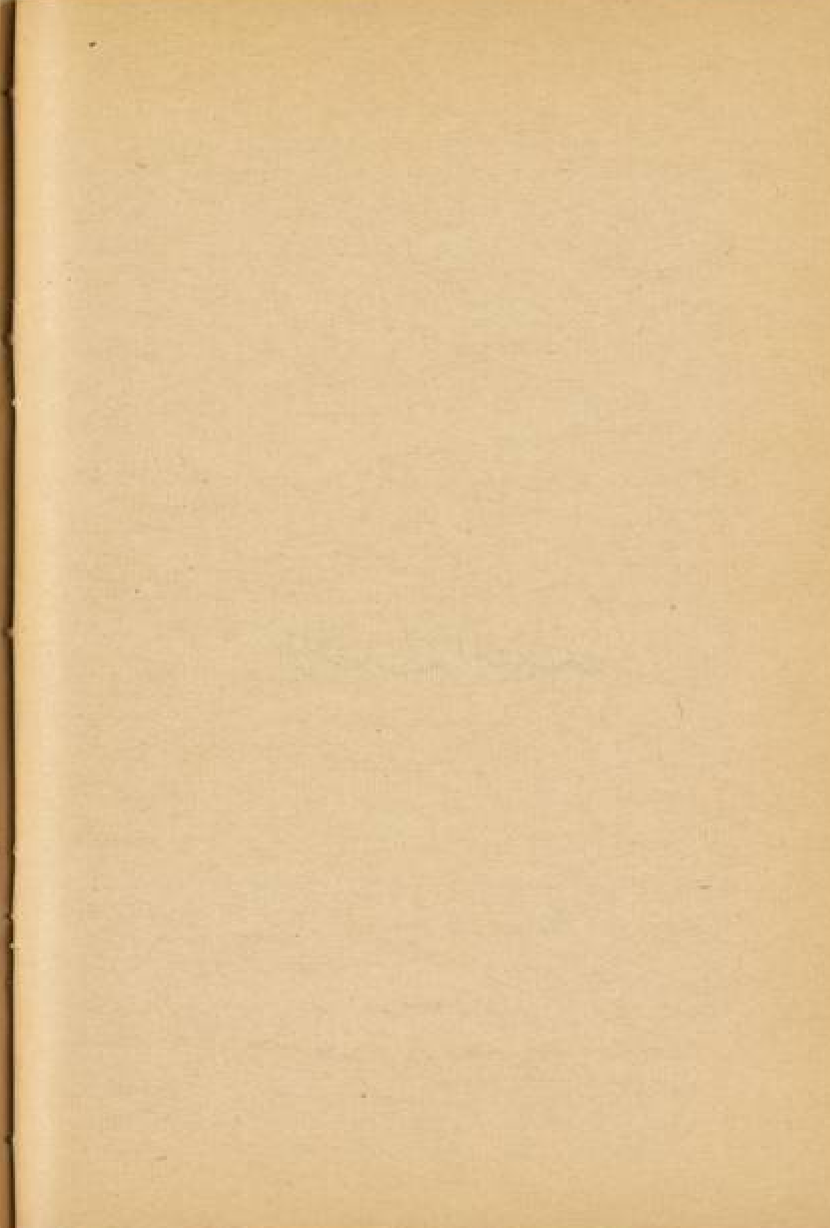
«أيها الصديق الصغير ! ليس من اللطف ان اضحك الساعة منك ومن « خلودك » ، وان ابدد تلك الاحلام التى تخيم على عشرين ربيعا من حياتك النضرة كما تخيم خمائل الازهار على خلوة المحبين ، ولكنى اقول لك ان كلمتك هذه ان صلحت لسنك وكان لها عندك اعمق المعانى ، فانها عندى الآن لامعنى لها ، ولست ادرى ماذا تقصد بها ! تقصد انى قد اكون تركت لكم بعض آثار ربما بقيت .. فليكن . ماذا يهمنى انا من ذلك ؟

« وبعد ... لا احب ان استبقيكم وقوفا امام قبرى اكثر من ذلك فان من بينكم من قد ارتبط بمواعيد سابقة وهو يختلس النظر فى ساعته من آن لآن . وليس عندى بعدما اقول لكم ؛ غير انى ارى فى اوائل صفوفكم اصدقاء لى لا يمكن ان استخف بعواطفى نحوهم . ولعل صداقتهم هى خير ماخرجت به من تلك الدار

« والآن ، اسمحوا لى ان اسكت سكوتى الابدى وانا ارجو منكم ان تنصرفوا الى شئونكم كانه لم يحدث شىء فلست فى حاجة الى كلامكم ، واذا اردتم ان تعقبوا على قولى هذا بشىء فى دنياكم تلك ، فضعوا مكان اسطوانتى هذه : اسطوانة موسيقية لاحد الموسيقيين الذين كنت احبهم ، تلك هى اللغة الوحيدة التى استطيع ان افهمها عنكم فى كل وقت ... والوداع »



راقصة المعبد



ذكرى سالزبورج

صيف ١٩٣٦

ثعبان قد انساب بين الجبال والوديان ، تارة يصعد كأنه يلاحق العصافير ، وتارة يهبط كأنه يرد الماء المنحدر من القمم ، وتارة يسعى فى نفق مظلم طويل كأنه يختفى عن انظار المطاردين . ذلك هو القطار القادم من سالزبورج الذاهب الى باريس . وكنت فى مقعدى احمل كتابا ولااقرأ ، واى عين تستطيع ان تثبت على صفحة وفى القطار نوافذ ، وامام النوافذ طبيعة ترقص ، احيانا متجردة واحيانا فى اثواب عجيبة الالوان كأنها « سالومى » فى رقصة السبع الغلائل الحريرية . شىء واحد كان يفسد على هذا الروى الالهى : صوت الآلة الكاتبة ينقر عليها مترجمى الفرنسى نقرات متصلة ، وقد خلع سترته ، وشمر عن ساعديه كأنما القدر قد سلطه على صفوى يكدره فى تلك الساعة الجميلة . ولم اطق صبرا فصحت به :

— كفى بحق راسك اضطهادا لراسى . الا ترى الطبيعة امامك كالراقصة الفاتنة وان نقرك هذا يهينها ويغضبها ؟

فأجاب دون ان يعنى بالنظر الى :

ـ الطبيعةراقصة اندلسية . ونقرى هوصوتالصفاقات الخشبية فى أصابعها

ومضى فى عمله يصفر بفمه . فقلت يائسا :

ـ وزاد علينا الصفير ! هذا « المزمار » غير «المسحور» ما حاجتنا اليه الساعة ؟ لقد كنا اكتفينا منك « بالصفاقات » !

ـ تلك اغنية غجرية سمعتها فى فيينا

فنظرت اليه شزرا ولم اتمالك :

ـ غجرية . اقسم لك بشرفك اننا نحن الفجر . وهل رايت فوضى اعجب مما نحن فيه ! ما يقول عامل القطار لو انه رآك الساعة على هذه الصورة ؟

ـ يقول اننا من رجال الاعمال . لامن رجالالفنالمخابيل. ينبغى ان تذكر ان الناشر فى باريس ينتظر مخطوطة كتابنا غدا . والفصل الاخير لم يضرب بعد على الآلة الكاتبة . اليست فرصة سانحة ان نعمل فى القطار والمقصورة خالية ؟

لم ابس . وملت بجسمى كله الى النافذة ، اطلب الهرب بروحى وفكرى . لكن الآلة الكاتبة بضجيجها كانت فى وجهى على المائدة الصغيرة المتحركة التى بينى وبين صاحبى . فنهضت وتركت له المكان واتجهت الى نافذة الممر فى الجهة الاخرى ... فاستوقفنى :

– انك لم تعطنى عنوانك فى باريس

– ومتى كنت اعطى عنوانى احـدا ، فى باريس او فى غيرها ؟

– وكيف اعثر عليك ؟

– اياك أن تعثر على . انى فى باريس اريد دائما ان اكون مثل السمك فى الماء . فاذا كان للسمك فى الماء عنوان فان لى فى باريس عنوانا . اريد ان ينطبق على قول الشـاعر « هنرى هاينى » : ان سالتم السمك فى الماء كيف حالك ايها السمك لاجابكم : انى كهنرى هاينى فى باريس !

فرفع صاحبى يده عن العمل ونظر الى مليا

– واعمالنا هذه ؟ . والناشر ؟ اذا طلب حضورك للتوقيع على عقود ، أأقول له ان عنوانك كعنوان السمك فى الماء ؟

– هذا ما ينبغى لك ان تقوله بالضبط

فضرب موريس على مفاتيح الآلة الكاتبة ضربة أوضربتين ثم قال كالمخاطب لنفسه دون أن ينظر الى :

– أنا الذى كان يحسب انك تنتهز الفرصة فترى فى باريس الادباء الذين قراوك ويتصورونك بخيالهم الاوروبى رجلا ذا عمامة كعمامة ابن سينا ، ولحية كلحية عمرالخيام، وحريم كحريم هرون الرشيد ، يعج بالجوارى الحسان والنساء ذوات العصائب والسراويل . آه ! ما اعجب منظرك حقا بين الجوارى والنساء ..! انت العدو اللدود للمراة .

شدماانقم عليك ! انك تبغض المخلوق الوحيد الذي يستطيع ان يلهمك خير الكتب . يا للنعمة الزائلة ! هذه الكتب التي كان مقدرا لهـــا ان تخرج من هذا القلب النائم المتثائب ! كن على ثقة ان هذه الكتب كنا ننشر بعضها تباعا في المجلات الكبرى كما يفعل اليوم كتاب العالم المشاهير فتدر علينـــا الدنانير . انك ايها الكاتب الشرقى لا تعرف كيف تؤكل الكتف !

وقرعت سمعى الكلمة الاخيرة لجوعى وقتئذ فنظـــرت اليه سريعا :

ـ أين هى الكتف ؟ وانا اعطيك العهود والمواثيق انى اتعلم اكلها فى مثل لمح البصر

ـ انا ادلك عليها . اصغ الى . لقد فاتنى ان اخبرك : لمحت منذ ساعة فى هذا القطار الراقصة البولونية «ناتالى . .» التى ظهرت على أحد مسارح باريس منذ عامين ورحلت الى فيينا للاشتغال بالسينما . انها حقا ذات جمال مخيف . . جمال يصعق للفور . .

فالتفت اليه مقاطعا :

ـ اتعتمد على هذه المرأة فى أن تلهمنا الكتب التى تدر علينا الدنانير ، أم انك تعتمد عليها فى صعقى للفور ؟

ـ فى كلا الامرين

ـ كن على ثقة انه ما من كتب ستكتب ، وما من دينار سيدخل جيوبنا ، انما المؤكد الموثوق منـــه أنى انا الذى

سيصعق للفور ، ولا مصلحة لك فى ذلك فاغلق هـــذا الباب ، أيها العزيز ، ودعنا نظفر بسلامة الوصول

ــ ولكن السلامة لا تدفعك الى الكتابة . ينبغى ان تصهر فى لهب الحب حتى يهبط عليك الوحى

ــ اسكت يا موريس وكفى سخفا

ــ بل انى لجاد كل الجد

فلم التفت الى قوله . فنظر الى يطلب الجواب فصحت :

ــ واذا اكدت لك انى اذ اقع فى الحب لا استطيع ان اكتب سطرين ؟

ــ اذا احببت فانك لا تستطيع ان تكتب ؟ !

ــ مطلقا

ــ ومن الذى يكتب لك رسائل الغرام ؟

ــ فى هذه المرة ليس أمامى الا انت

فتغير وجه موريس :

ــ انا ؟ والف مرة لا . اذا كانت النتيجة انى انا الذى ... لا يا سيدى العزيز

فابتسمت وقد عاد الى الاطمئنان . فاستطرد الفرنسى :

ــ وانت عندئذ ماذا تصنع ؟

ــ انا واقع فى الحب

فنظر الى محملقا :

ــ وهل الحب بئر اوجب ، القيت فيه مكتوف اليدين ؟

ــ وما هو اذن ؟

ــ أهو كذلك عندكم معشر الشرقيين ؟!

ـ لست أتكلم باسم الشرقيين ولكنى اقول لك اصالة عن نفسى انه ينبغى لك ان تفهم ان الحب شيء والتاليف شيء آخر

وادرت له ظهرى واتجهت الى النافذة وطفقت اتامل المناظر التى تمر بى فى تماسك وارتباط كانها « فريسك » عظيمة رسمتها ايد سماوية على لوحة الفضاء الى أن نبهنى رنين الصينية النحاسية يقرعها خادم عربة الاكل معلنا ساعة الشاى . فنظرت الى صديقى

ـ الشاى يا موريس . بطنى قد رقصت طويلا « رقصة الجوع » حتى خارت قواها !

فلم يجب . واشار الى براسه انه باق للعمل . فتركته واسرعت فقطعت دهاليز العربات على غير هدى ابحث عن عربة الطعام وانا لا اذكر ان كانت فى مؤخرة القطار او فى المقدمة . وكانت سرعة القطار تدفع المار الى الارتطام بالجدران وبالمسافرين الواقفين فى الممر ، واكثرهم من النساء النشطات اضجرهن طول الجلوس . فمضيت حذرا خائفا ان يختل توازنى فاقع على امراة . والويل لى عندئذ وان كان من وراء ذلك الالهام وصنع الروايات وامتلاء جيب موريس بالدنانير والفرنكات . وبينا انا اجتاز عربة من العربات وقد بدا على الجهد ، اذا رجل كهل ابيض الشعر فى ثياب صفراء غير نظيفة كثياب عمال القطار يقطع مثلى الممر فى نشاط عجيب . فما ان دنا منى حتى أرسل الى ، من عينين صغيرتين خلف منظار سميك ، نظرة باسمة فيها

الفة وفيها دعوة خفيـــة الى الكلام ، وغلب على تحفظى وجمودى فلم اعبا به ، وهممت بالاعراض عنه وسرت فى طريقى فاسرع فى ادب ولباقة ودفع امامى باب العربة التى اريداجتيازها وهو يقول فى لهجةفرنسية غريبةلكنهامفهومة وفى نبرة مرحة تنم عن خفة روح :

ـ ما زالت لدى كما ترى قوة الشباب !

فابتسمت . وسالته من فــورى عن عربة الاكل اين موقعها ؟ فلم يمهلنى وخف امامى يقودنى اليهابنفسهويفتح امامى الابواب المعترضة بقبضته الصلبة وحركته النشطة . حتى اشرفنا عليها ولمحت موائدها فانطلقت نحوها من فرط جوعى . وجمدت عيناى على اطباق الزبد واوانى العسل لا ابصرغيرها فى المكان ونسيت الشيخ الذى قادنى. واستدرت بعد هنيهة انادى « الجرسون » كى يجلسنى فى موضع غير محجوز ، فالفيت الشيخ بالباب ينظر الى فى ابتسامته الوديعة فاعرضت عنه . فتركنى ووقف مع الطهاةيحادثهم. فتنفست وقلت فى نفسى : « لو صاحبت هذا الرجل ذا الثياب الصفراء المرصعة ببقع الزيت والغبار لكان جزاؤنا الطرد من هذه العربة ؛ فالخير فى ان اتجنبه الآن اذا كان لى فى الاكل مطمع » . وابطأ على الغلام فرفعت بصرى عن الزبد والعسل والخبز المحمر وادرته فى المكان ابحث عن مائدة فاذا الموائد قد شغلت ولم يبق غير كرسى خال فى مائدة تجلس اليها سيدتان فى مقتبل العمر احداهما ذات جمال مخيف حقا .. ما ان وقعت عيناها على عينى حتى

اشحت بوجهى عنها كما يشيح الانسان بوجهه عن الشمس .. ووجدت عن يسارى مقعدا خاليا يجلس اليه رجل من ثراة الامريكان وزوجه ، فسقطت عليه كما يسقط العصفور الذى اصابته عين الافعى . وهدا روعى قليلا ورفعت راسى فرايت الانظار كلها مصوبة الى هذه الجميلة . وخيل الى ، ولعل الامر لا يعدو الخيال انه ما من واحد يجرؤ على الدنو من المائدة التى عليها الجمال . وخيل الى ايضا انه ما من عين تصمد طويلا أمام هاتين العينين ! كهرمان وذهب وعسل مصفى مزجت الوانها فخرج منها لون لست ادرى ما اسمه بين الالوان : هو لون هاتين العينين . واقبل الغلام بأباريق الشاى واللبن وصب منها فى فنجانى ومضى ولم ابد بعد حراكا . وبينا انا على هذه الحال اذا عينـــاى تبصران فى دهشة ذلك الشيخ ذا الثياب الصفراء قد عاد فدخل العربة ومشى بخطى ثابتة مطمئنة الى مائدة الجميلة وجلس فى المقعد الخالى الى جانبها بغير تردد ولا اضطراب . وما ان استقر به المجلس حتى ثبت منظاره على انفه وارسل اليها نظرة فاحصة هادئة . فهالنى الامر وقلت فى نفسى : «هذا الرجل مطرود مطرود » وحانت من الرجـل التفاتة الى وابتسم ، فعجلت وملت بوجهى عنه . وبودى لو اصيح فى الناس قائلا : « اقسم لكم أيها الناس انى لا اعرف هذا الشيخ ولم اره قط فى حياتى » .. غير انى رايت عجبا بعد قليل : ما كدت اجازف واختلس النظر الى تلك المائدة حتى وجدت الشيخ يحادث الجميلة وهى تحادثه وقد اضـــاء

السرور وجهها فازداد اشراقا على اشراق واذا هى تبسم وتضحك وتغرق فى الضحك . فعجبت وقلت فى نفسى : من هذا الرجل الذى استطاع ان يضحك الجميلة ولما يمض على جلوسه خمس دقائق ! واستغرب الامر كذلك بعض الركب فنظروا اليه . وجاء الغلام فطلب اليه الشيخ سلة فاكهة غضة منوعة . فانحنى له الغلام انحناءة تدل على تقدير له ومعرفة لشخصه . وكانت المراة الاخرى صامتة قداتجهت بوجهها شطر النافذة . وقد ظهر من شانها انها لا تعرف الجميلة ، وانها على ملاحة وجهها هى كذلك ورشاقة قدها يعيبها جمود وصلابة ينمان عن جنسها الالمانى . ولكن .. لم يمض قليل حتى كان الشيخ قد اضحك ايضا تلك الالمانية، واخرجها لينة طيعة من محيط نفسها الجامدة كما يخرج الساحر البارع الكنز من مخبئه ، واذا المائدة قد دبت فيها روح خفيفة لطيفة واذا الجمال الصامت قد تحرك وشعت منه تيارات مرحة فتنت لب الحاضرين . واذا هذا المطعم الراكض يكاد يحس كان روحه النابضة تلك المائدة التى جلس اليها الشيخ بين الجميلتين . وتكاد هذه العربة تشعر من فرط المرح بخفتها عن بقية العربات وبرغبتها فى الارتفاع والرقص بمن فيها فوق « الخط الحديدى » . حرت فى امر هذا الرجل العجيب وقد نزل من نفسى منزلة الاحترام . وصحت من اعماق نفسى : « ان هذا الا استاذ عظيم ! » ومنذ تلك اللحظة جعلت همى ان اترضاه ، فاكثرت النظر اليه متربصا به علنى اصيب منه فرصة . غير ان الخبيث

وقد ادرك ما بى لم يعطف على بنظرة . ولم يحفل بامرى ولم يمل بوجهه ناحيتى قط . ولم اقنط من رحمته وجعلت اتابعه بنظرى وسمعى واراقبه وهو يحادث الجميلة بالفرنسية فتضحك ويداعب الاخرى بالالمانية فتضحك . وانا لا يضحك قلبى ولا يبتهج . بل يمتلىء حسرة ويأسا وخوفا ان يمعن هذا الرجل فى تعذيبى بهذا الاهمال وفى يده الآن مفتاح سعادتى وشقائى . واراد اخيرا ان ينادى الجرسون فوقعت منه على نظرة عابرة فاسرعت بقلب واجف وامل متجدد وابتسمت له وانحنيت براسى تحية له واحتراما ، ولكنه ازور فى الحال بوجهه عنى كانه لا يعرفنى وكانه لم يرنى قط فى حياته . فهمست فى اعماق نفسى على حال كسيرة وياس اليم وغيظ محرق « ايها الشيخ الملعون. عملتها وانتقمت لنفسك شر انتقام » .. ومضت لحظات لست ادرى ما حدث فيها ، غير ان فنجانى ظل على حاله لم ارشف منه سوى مرة او مرتين والزبد والعسل والخبز المحمر لم اضع يدى فى طبق من اطباقها . ولم يبق منى الا انسان جالس لا حراك به ينتظر فتات النظرات من مائدة الجمال . ولعل هيئتى كشفت للرجل عن دخيلتى ، وكانما ادركته بى شفقة وكانما احس ان الدرس الذى اعطانيه قد اثمر . فاذا هو فجاة قد اقبل على بوجهه ونظر الى نظرة صريحة باسمة ردت الروح الى جسدى . وفى لباقة غريبة وبمناسبة لست ادرى كيف اوجدها ، وجه الى الكلام فى جو من الالفة نسج خيوطه للتو حتى كاد الحاضرون وكدت

انا نفسى اعتقد ان المعرفة بيننا قديمة العهد قوية الاسباب دون ان ادرى او دون ان اذكر :

ـ انك قادم من فيينا ؟

قالها الشيخ بفرنسيته الغريبـــة المفهومة . فأسرعت بالجواب :

ـ لا . بل من سالزبورج

ـ حيث المهرجان الموسيقى ؟ شانك اذن شان الســـيدة

قالها الرجل مشيرا الى الجميلة ثم الى ف حركة لبقة هى ابلغ من التقديم ، واذا هى تقبل على فى نظرة المتسائل عن امر حضورى المهرجان . فتعلقت باذيال هـــذه النظرة ونهضت من مقعدى فى الحال كمن وخز بابرة وذهبت اليهم وجلست فى المقعد الرابع الخالى الى جانب الالمانية وانا اقول فى نفسى : « ان فاتتنى هذه الفرصة فموت مثلى خير من حياته ! » ونظرت الى الجميلة امامى والى الشيخ الجالس بجوارها وقلت على عجل :

ـ سيدتى حضرت كذلك المهرجان ؟

ـ نعم . كان بديعا ، الا ترى ذلك ؟!

ـ واى ابداع ! . لقد امرضنى المطبخ النمسوى ورمى معدتى بالداء ، فشفتنى الموسيقى النمسوية ووجـــدت فيها الدواء .

فقال الشيخ باسما :

ـ اذن لقد خرجت من المهرجان لا لك ولا عليك !

فضحكنا .. وقلت للشيخ :

ــ لقد خرجت مع ذلك بشيء لا يقوم بمال : مشاهدتى اوبرا « اورفيوس وايروديس » للموسيقى « جلوك »

فنظرت الى الجميلة فى دهش :

ــ اليس كذلك ؟ ! حقا انها كانت اعجب وابدع ما عرض هذا العام : انى ادهش كيف ان هذه « الاوبرا » المعروفة بما فيها من املال للنفس قد انقلبت تحت عصا « برونو فالتر » شيئا يسحر اللب . لقد جعل منها قطعة « باليه » راقصة طائرة كانها من تاليف الملائكة . اتذكر منظر الجحيم ومنظر الفردوس ؟ ما ابدعه « كوريجرافى » .. !

فقلت لها :

ــ يخيل الى يا سيدتى ان « جلوك » كان قد وضع قطعته لتؤدى على هذه الصورة الراقصة لا لتغنى كما تغنى بقية الاوبرات ، لقد قالت مثل هذا القول الراقصة العظيمة « ايزادورا دونكان » وهى اعرف الناس فى نظرى«بجلوك». ماذا تراها كانت تقول لو رات اليوم « أورفيه » كما عرضت هذا الصيف فى سالزبورج ؟!

فقالت الجميلة :

ــ ارايت « ايزادورا » ؟

ــ رايتها مرة منذ عشر سنوات فى رقصتها الاخيرة . وفى اليوم التالى نشرت الصحف خبر موتتها الفظيعة فى نيس مخنوقة فى غلالتها الحريرية . لقد تواطات على قتلها

تلك الفلالة التى طالما رقصت بها ، مع الهواء الذى طالما احبت الرقص تحت جناحيه ! لقد حزنت عليها وقلت فى نفسى : شاء القدر الا تموت حتى اراها وتزيح لعينى الستار عن عالم رائع كنت اجهل وجوده من قبل . وا اسفاه عليك يا ايزادورا !

وعندئذ قطع الشيخ الحديث وهو ينظر الى :

ـ يخيل الى انك انت ايضا يا سيدى من رجال الفن : موسيقى ؟ مصور ؟ شاعر ؟ روائى ؟

فقلت له باسما :

ـ صدقت فراستك . انا من أولئك النفر الذين خلقوا كى يملأوا الدنيا كذبا وتمويها

فقال الشيخ للفور :

ـ ان أردت الحق فكل رجال الفن فى الكذب سواء٠ولكنى أحسب الروائى أطولهم باعا واملأهم جعبة ...

ـ سيما وان كان شرقيا من صلب مؤلفى « الف ليلة وليلة »

فقالت الجميلة وهى تنظر الى باسمة :

ـ يسرنى حقا أن أرى كاتبا من سلالة تلك الفئة العجيبة٠ ولكنى لا أحب أن تسمى فنك كذبا ٠ ان الكذب المتسق هو أصدق من الصدق ٠ ما الفن الا كذب متسق جميل

فرفعت عينى الى السماء وقلت فى شبه دعاء اسلامى :

ـ اللهم نسق لى كذبى ! ..

فضحكت الجميلة وضحك الشيخ وحتى الالمانية ضحكت

من منظر كفى المرتفعتين الى السماء على نحو لعلها ما رأتهالا فى الافلام السينمائية التى تمثل الصحراء والبدو من المسلمين . وكانت الالمانية قد فرغت من تناول الشاى ومحاسبة الغلام ورأت الحديث يدور بالفرنسية التى لا تعرفها فنهضت وحيتنا باشارة من راسها تحية سريعة وانصرفت الى عربتها وتركتنا نحن الثلاثة فى ضحكنا وابتسامنا وسرورنا . وكان مقعد الالمانية أمام الجميلة وجها لوجه وعن يمينها النافذة البلورية فبادرت وانتقلت الى مقعدها الخالى . وأنا أقول للشيخ :

– وانت يا سيدى هل كنت معنا فى سالزبورج ؟

– لا مع الاسف . انى قادم من « انسبروخ » حيث كنت طول وقتى أتسلق الجبال ولم أزل كما ترى بثياب التسلق القذرة . انى من قدماء المتسلقين الهواة . لذلك أعترف لك أن الموسيقى التى تهز مثلى هى موسيقى الطبيعة

– هنيئا لك ياسيدى هذه الموسيقى . ومن غير الموهوب يستطيع أن يتذوق « سانفونيات » الطبيعة الصوتية الضوئية فى آن ؟ ما الفن الا سفير بيننا وبين « الطبيعة » يصف لنا « بلاطها » وما فيه من أبهة وبذخ وعجائب وأسرار

فلمعت عينا الجميلة وقالت كأنها تخاطب نفسها :

– الفرق بين الفن والطبيعة فى الرقص ، كالفرق بين « بافلوفا » و « ايزادورا »

فحدقت فيها وقد أخذنى الدهش :

ـ ملاحظتك يا سيدتي غاية في الصواب · وان كان علمي بفن الرقص غير غزير ، نعم عند « ايزادورا » الانسان في الطبيعة شأنه سواء بسواء شان الزهرة في المروج والشجرة في الغابة والسنبلة في حقل الحنطة · له رقصته الطبيعية وله تموجاته المتسقة مع الهواء العابث بشعره المرسل الطائر · فهو في غير حاجة الى تقليد «موت البجعة» أو « مشية العصفور »

فقالت :

ـ ولكن الفن مع ذلك هو الجمال المصنوع·ان من فضائلنا نحن الآدميين اننا استطعنا أن نصنع الجمال في معاملنا البشرية · ولم نكتف مثل بقية عناصر الطبيعة بأن ننتظم نغما في نشيدها العام وحركة في رقصتها الكبرى

فقلت لها على الفور :

ـ أنت تحبين « بافلوفا »

فأجابت باسمة :

ـ وأنت تحب « ايزادورا »

فصاح فينا الشيخ بغتة :

ـ مهلا ، مهلا ·· وأنا أحب من ·· ؟ أتوزعان فيما بينكما « الاحبة » ، وتتركاني بغير « حبيب » ؟ !

فبرق في رأسي خاطر وتذكرت من فوري حديث صاحبي الفرنسي عن الراقصة البولونية وأيقنت من كلام الجميلة في الرقص ومن جمالها « المخيف » أنها ولا ريب هي ···

فاسرعت وأجبت الشيخ باسما وعيناى الى الفاتنة :

ـ انت تحب « ناتالى » . . .

فتلون وجه الفاتنة على نحو أدركت معه أنى فى حضرة الراقصة . والتفت الشيخ الى جارته قائلا فى لباقة وكياسة:

ـ لو أذنت أن أكون من عبادك المعجبين !

فأسرعت قائلا للشيخ فى ضراعة :

ـ مهلا . لاتتركنى . خذنى معك أنا أيضا عبدا من العباد الخاضعين الساجدين !

فضحكت الجميلة ضحكة رقيقة كشفت عن ثغر لؤلؤى أثمن من كنوز سليمان . وقالت :

ـ أتحبان الرقص بهذا المقدار ؟ !

فقلت من فورى :

ـ وكيف لانحبه ياسيدتى ، والكون كله رقص ؟ ان المجموعة الشمسية فى دورانها الابدى ليست الا رقصة « باليه » !

فقال الشيخ فى تنهد المشتاق :

ـ كم ترى ثمن الكرسى لمشاهدة هذا « الباليه العلوى »؟

فقلت باسما :

ـ أقل ثمن للحضور فيما اعتقد « حياة » الانسان

فقال الشيخ باسما :

ـ تقصد ولا ريب بأقل ثمن : « أعلى التياترو » !

فضحكت الجميلة وقالت :

ـ ليس الثمن باهظا على اى حال . على شرط أن يسمح لنا برؤية هذا المشهد العجيب !

فقال الشيخ :

ـ اطمئنى يا سيدتى. قلبى يحدثنى أن كراسينا محجوزة مقدما من قبل أن نولد لمشاهدة هذه الحفلة. وكل ما أرجوان نوضع نحن الثلاثة فى مقاعد متقاربة كما نحن الآن . حتى نتبادل الآراء فيما نشاهد كما نتبادلها الآن ... ينبغى اذن أن نتعارف من الساعة حتى لايضل أحدنا عن الآخر. اتسمحان ؟ ..

واخرج الشيخ من جيبه محفظة تناول منها بطاقة ،وفعلت عندئذ فعله ، وكذلك فعلت الجميلة وتبادلنا البطاقات . وعلمت ان صاحبى الشيخ من أصحاب المصانع الموسرين فى بخارست . وان الجميلة هى حقيقة «ناتالى» .. واردت ان أحيى هذا التعارف بزجاجة من الشمبانيا فناديت الغلام وطلبت اليه ذلك فاعترض الشيخ محتجا فى ظرف أن هذا الواجب من نصيبه ... ثم اتفقنا آخر الامر على أن ندعه يفعل ما يشاء فى العشاء . وجاءت الشمبانيا فى وعائها الفضى محاطة بالثلج . وفض الغلام خاتمها وملأ الكؤوس، وما كدنا نرفعها الى الشفاه حتى دخل صاحبى موريس عربة الاكل ووقع نظره على فى الحال وأنا على هذه الحال، بين جمال باهر وشراب فاخر ، ونعيم ليس بعده نعيم ، فارتسمت على فم الملعون ابتسامة أدركت لوقتى معناها. ولم يمهلنى حتى أتدبر أمرى معه ودنا حتى بلغ مائدتنا فانحنى أمامى باحترام وقال :

ـ سيدى « عدو المرأة » لم يصعق بعد للفور ؟!

ثم اعتدل واستدار ورجع من حيث أتى كأنه كان قد جاء ليلقى هذه الكلمة ويمضى

وبدا الدهش على وجه الجميلة والشيخ وكان أعينهما تسأل عن معنى ذلك ...

ولم أر بدا من الافصاح فقلت :

ـ هذا رجل يرى الا نفع لى ولا فلاح الا اذا صعقنى حب امرأة !

فصاح الشيخ :

ـ وحق هذا الشراب المقدس ان الرجل قد صدق !

ونظرت الى الجميلة باسمة :

ـ ولكنه قال أيضا انك « عدو المرأة »

فأردت أن أشير بالايجاب فبادرنى الشيخ مقاطعا :

ـ اياك أن تكفر فى حضرة الجمال. ألست معى من العباد الصالحين الخاضعين ؟!

فقلت فى شىء من التمرد :

ـ انى أحب الجمال وأكره المرأة

فقالت الجميلة فى هدوء وابتسام :

ـ لماذا تكرهها ؟

ـ أأكون صريحا ؟

ـ نعم

ـ لان المرأة ياسيدتى مخلوق ... ماذا أقول ؟ أرجو عفوك . انى كلما تذكرت أثرة المرأة وظلمها ومنطقها الغريب ... اليك يا سيدتى مثلا بسيطا . ما جرى فى تلك القطعة

الموسيقية التى شهدناها • لقد رأينا « أورفيوس »المسكين فى الفصل الاول يبكى على قبر زوجته «ايروديس» ويستبكى الآلهة بالحانه الحزينة وقيثارته الشجية حتى أذنوا له أخيرا بالبحث عنها فى الجحيم والفردوس ••• الى أن وجدها • وأراد الخروج بها الى الدنيا فلم تأب عليه الآلهة ذلك على شرط ألا ينظر الى وجه زوجته « ايروديس » قبل أن يجتازا مملكة الموت والا بقيت زوجته الى الأبد فى مملكة « بلوتون » وتذكرين يا سيدتى بعدئذ كيف أن تلك المرأة قد نسيت كل ما فعل زوجها من أجلها وانها عاتبته مر العتاب لأنه « فقط » لم ينظر الى وجهها • وما زالت به حتى أنسته وعده ونظر اليها فسقطت لوقتها وعادت روحها الى مملكة الظلام فبكى الرجل من جديد واستبكى الى آخر القصة••• ولو كنت فى مكانه لتركتها هذه المرة وشأنها ••

فسددت الى الجميلة نظرة فاترة ألقت الاضطراب فى « جهاز » عقلى • وقالت فى نبرة عذبة أتت على البقية الباقية منى •••

ـ ما أقسى حكمك !

فقلت كمن يتقى سلاحا مصوبا :

ـ بالله لا تسلطى علينا الجمال يا سيدتى • انه فى أيديكن كالمخالب فى أيدى القطة • تبرزنه وقت اللزوم • من أجل هذا أكره •• المرأة ••

وكان الشيخ لم يطق سكوتا فقال فى صوت المتوسل :

ـ لا تكره المرأة يا سيدى العزيز • ان المرأة الجميلة

كالزهرة النضرة ، كل شيء فيها جميل حتى شوكها ، ان الجمال لا يتجزأ ٠ انه الجمال وكفى ٠ ان الجمال هو فضيلة المرأة ، بل هو الفضيلة وكفى

فأجبت الشيخ فى صوت المغلوب على أمره :

ـ لقد خنتنى ياسيدى ، وفتت فى عضدى، وخذلت جنسنا وظاهرت الجنس الذى يقال انه لطيف وهو فى غير حاجة الى دفاع ، ان المرأة لا تدافع ، انها تهاجم وتصعق ، آه من الجمال ، المرأة الجميلة هى القوة وكفى ، هى الصاعقة وكفى

واخرجت منديلى كأنى اريد أن أجفف عرق الاندحار ٠٠ فضحكت الجميلة وقالت :

ـ لا يبدو عليك مطلقا أنك صعقت

ـ وماذا تريدين ياسيدتى أن يبدو على ؟

ـ لست ادرى .. لكن ..

ـ لا اكتمك يا سيدتى ان فى رأسى « مانعة » للصواعق، كتلك القطعة من الحديد التى توضع فى رؤوس البيوت هو مبدأ قد رسخ فى ذهنى : ان حريتى أثمن عندى من روحى ، وان المرأة وحدها هى أخطر عدو يهدد هذه الحرية ٠ فالمرأة يا سيدتى هى السجان الدائم لنا نحن الرجال : نتخبط بين جدران بطنها ونحن أجنة ، نطعم ماتريد هى أن تطعمنا اياه٠ فاذا خرجنا من بين تلك الجدران المظلمة الى الحياة المضيئة الرحبة وقعنا بين سياج حجرها ، تغذى أفهامنا بما تريد هى أن تلقننا اياه ٠ فاذا اجتزنا بالكبر تلك السياج تلقتنا أغلال

ذراعيها فطوقت أعناقنا حتى الممات ، فمتى الخلاص منهـــا ومتى الحرية ؟

فابتسمت المرأة ابتسامة لها فعل الكهرباء :

ـ الم أقل لك انك لم تصعق !

فصاح بى الشيخ :

ـ سيدى العزيز،سيدى العزيز،أتوسل اليك فى خضوع أن تخرج من راسك تلك « الحديدة » !

فتنهدت وقلت :

ـ وما حظك من أن تعرضنى للخطر ؟ يا الهى اشهد ! لقد اصطلحت على الاسباب هذه الليلة لاضـــاعتى · ان « الحديدة » ياسيدى قد صهرت · ومتى كانت صاعقة الجمال يردها حديد أو خشب ؟ انى قد صعقت ، انى قد صعقت ، انى قد صعقت ، اما تزال سيدتى مصرة على أن هذا لايبدو على ؟ !

فأجابت الجميلة فى ضحكة رقيقة :

ـ داؤك غير خطير

وكان القطار قد مر ببحيرات زوريخ الرائعة فنظرنا كلنا الى تلك الجبال الشاهقة الخضراء كأنها مردة عمالقة فى ابراد حضرمية يلعب تحتها الماء الازرق الهادىء كأنه يداعب أقدامها العارية ، وغمرنا الشعر المحيط بنا فأنسانا أنفسنا · فلم نفق الا على حركة الغلام وهو يرفع عن مائدتنـــــا الاطباق والاكواب فالتفتنا فاذا عربة الاكل قد خلت من الركاب ولم يبق غيرنا وقد مضت ساعة الشاى منذ وقت ليس بالقصير

دون أن نحس مرها • وبدأ السقاة والغلمان يهيئون الموائد تأهبا للعشاء • فنهضت الجميلة فى الحال فى خفة العصفور اذ يقفز من غصن الى غصن ، واستأذنت فى العـــودة الى مقصورتها ووعدت باللقاء عند العشاء تلبية لرجاء الشيخ • وذهبت عنا كأنها الشمس التى غابت وقتئذ خلف الوديان فتركنا فى ظلامين • ولبثت أنا والشيخ صامتين مطرقين كأننا نخشى الافاقة من سحر تلك اللحظة • غير أنى تكلمت على الرغم منى فى صوت ضعيف كأنى أخاطب نفسى :

ـ دائى غير خطير !

وسمع الشيخ منى وفطن لى فالتفت الى قائلا :

ـ أوقعت ؟

فخرج من فمى الجواب دون أن أشعر :

ـ نعم

وانتبهت لنفسى فرأيت الشـــيخ يحدق فى وجهى • فاستهولت الامر وسرت فى جسمى رعدة وخشيت على نفسى • واذا الشيخ يقول فى صوت هادىء مطمئن :

ـ اعتمد على !

ـ أعتمد عليك فى ماذا ؟!

فنهض ومد الى يده وصافحنى ضاغطا على يدى وهو يقول فى صوت حار :

ـ انى افهمك وكفى . الى الملتقى فى العشاء

ومضى فى حركته النشطة وانا انظر اليـــه ولا ادرى ما أفعل ولا ما أقول حتى غادر عربة الاكل واختفى عن عينى

وثبت الى رشدى ورأيت نفسى وحيدا فى المكان بين الطهاة والسقاة فانصرفت الى مقصورتى وأنا شارد الفكر ضـائع اللب ...

□

جلست فى مقعدى صامتا دون أن ألقى نظرة على موريس، ولا أذكر ماذا كان يصنع وقتئذ ، لعله كان يراجع أو يتظاهر بمراجعة فصله ، ورأيت نفسى فى حاجة الى أن أخفى عنه أمرى . فتناولت كتابى وفتحته حيثما اتفق ودسست وجهى فيه . ومضيت لحظة لم أع فيها ماحولى . فقد غاصت نفسى فى القرارة السحيقة من نفسى كما تغوص القوقعة فى أعماق صدفتها ، واذا بى اسمع همهمة كأن أحدا يغالب الضحك ولا يستطيع كتمانه . فرفعت عينا حريصة مستطلعة خارج الكتاب فرأيت الخبيث موريس يهتز كالمرجل بالضـحك المحبوس . فقلت له فى هدوء مصطنع دون أن أبسم :

ـ اعط نفسك راحتها ، وأفرغ هذا الوعاء الممتلىء هذرا وسخفا !

فما توانى ، وفتح عقيرته بقهقهة صريحة وهو يقول :

ـ شتان بين وجهك الذى ذهبت به ووجهك الذى تعود به الآن !

فقلت فى فتور وبرود :

ـ ما الفرق ؟ أذهبت حليقا وعدت بلحية بيضاء ؟

ـ بل ذهبت هادىء البال وعدت مسلوب البلبال

فلم أطق صبرا :

ـ نعم ، كي ترضى وتطمئن ، هذا ما كنت تتمناه من صميم فؤادك • ما زلت بي حتى طرحتني أرضا • لكنني أقسم بشرفك ثلاثا ••

ـ كفي قسما بشرفي ، أقسم بشرفك أنت مرة واحدة !

ولم أر فائدة من الكلام مع موريس ولم أجد في نفسي ميلا الى الجدل والحديث ، فغادرت المكان وخرجت الى الممر يشيعني الفرنسي بضحكات مرحة فرحة وهو يفرك يديه سرورا وجذلا كأنما الحال والاعمال سائرة على خير مايرام• أو كأنما يرقص في جيبه « شيك » سخي الارقام•وابتعدت عن مقصورتنا ، وأسندت جبيني الى زجاج نافذة من نوافذ الممر وجعلت أفكر فيما حدث • انه الجنون • أي مطمع لي في هذه الراقصة الفاتنة ، انها على مقدار من التواضع ونبل الخلق فيما أرى ، لكنها متى هبطت باريس أحاط بها الفنانون والظرفاء والاثرياء • وبعد ، فماذا أريد منها على وجه التحقيق ؟ هذه مسألة ينبغي أن ألقي عليها الضوء في أنحاء نفسي وألا أتركها مبهمة غامضة • ماحقيقة شعوري نحوها أولا ؟ كلا • هذا سؤال يدل على الحمق • ان كان الامر متوقفا على الشعور فاني الآن أحس أني لا أرى في الحياة عسلا ولا وهجا الا في عيني هذه المرأة ••

ترى ما مذهبها في الرقص ، وبكم أبتاع ليلة ترقص لي فيها وحدي بين جدران أربعة ؟! ان المرأة سجاننا الدائم !

اللهم انى مغفل!اللهم انى أقبل السجن المؤبد مع هذه المرأة بين جدران لاتهدم وفى أغلال لاتحطم ! ان الحياة خارج مثل هذا السجن هى السجن . لكن .. معذرة ..هذا كلام فتى فى العشرين ، وأنا اليوم لست فى العشرين ولا فى الثلاثين . وليست هـذه المرة الاولى التى .. آه للقلب ! انه لايعرف غير لغـة واحـدة . انه اذا استيقظ غنى عـين الانشودة بألفاظها وأنغامها غير حافل بصغر أو بكبر ، كأنه «اسطوانة» غناء اذا مستها الابرة صاحت بما كانت تصيح به فى كل حين . وأنا الذى كان يحسب ان اسـطوانة قلبه قد غيرت أنشودتها . مستحيل . ان الصوت قد يفعل فيه القـدم فيضعف ويبهت ، ولكن الاغنية هى دائما الاغنية ..

كل ذلك صحيح ، ولكن هذا العقل الساكت أما ينبغى له أن يتكلم ؟ أيها الربان المحترم الذى يدير هذه السفينة الثملة ، ما بالك قد انزويت فى «قمرتك» ؟ كأنى بك تحتسى أنت أيضا كؤوسا من « الشمبانيا » تاركا السفين يلعب فى يد المقادير . أريد منك الجواب عن سؤال واحد : ماذا تريد أو ماذا ينبغى لنا أن نريد من هذه الجميلة ؟ لست تدرى ؟ هذا لا يدخل فى دائرة عملك ؟ واعجباه ! ان العقل أيضا قد ثمل . هنالك صوت داخلى مع ذلك يهتف بى ألا أحاول شيئا وألا أطمع فى شىء ، وأن أمكث فى مكانى لا أذهب الى العشاء . نعم لا يجب أن أذهب لمقابلتها فى العشاء ، اذ .. ما الفائدة ؟..

ودوى فى العربات رنين الصينية النحاسية فلم أتحرك

من موقفى،على أن رنضى رؤيتها على هذه الصورة أمر لم‌يتم لى الا بعد حركة قمع دامية قمت بها داخل النفس المتمردة، لقد أقنعت نفسى أن الانتصارالحقيقى هو دائمافى كلمة «لا»

لقد انتصرت اذ لم أذهب حيث كانت تنتظرنى • لكن عفوا • من قال انها تنتظر ؟ ما هذه الالفاظ التى نسبغها أحيانا على مواقف عادية هى غاية فى البساطة ؟ وما هذا الانتصار المزعوم ؟ وعلى من تراه وقع ؟ عليها هى ؟ أغلب ظنى أنها لاتشعر به ولا بى • أما ان كان على نفسى فنعم • وانتصارى على نفسى ماقيمته ؟ على الاقل فيما نحن فيه الآن ••• آه •• من هذا الانتصار فى الهزيمة ! هذا الذى لايعرف غيره الأدباء المساكين ! وطفقت أنسج على هذا المنوال خيوطا واهية من الخواطر لانفع فيها الا اضاعةالموعد على • ومضت ساعة فيما يخيل الى•وأنا جامد فى موضعى، ولم افق الا على صوت خلفى يهتف باسمى فالتفت فاذا الشيخ يشتد نحوى صائحا بى :

ـ لقد قلبت القطار •••

ـ قلبت القطار ؟ هذا القطار الذى نحن فيه ؟

ـ بحثنا عنك • أين كنت ؟ ولماذا لم تظهر ساعة العشاء؟

ـ آه • انى آسف حقا كل الاسف اذ حرمت نفسى •• لكن ••

ـ لا بأس . انى افهمك

قالها الشيخ فى نبرة الواثق وصوت المجرب المعانى وخامرتنى الرغبة فى أن أستزيده ايضاحا وأن أعرف على

أى وجه قد فهمنى • غير انه عاجلنى قائلا :

ـ ان غيبتــك قد أقنعت الجميـلة بان داءك على شىء من الخطر

ـ دائى ••

ورفعت يدى أجس صــدرى وقلبى وكبــدى ، وقد كاد يدخلنى اليقين أن قد نزل بى مرض حقيقى ، ومضى الشيخ يقول وهو يهش لى :

ـ اطمئن • لقد استنزلنا عليك عطفها

ـ ماذا أسمع منك ؟ مـد الله فى عمرك وأطال لنا بقاءك ولا عدمناك نصيرا للبائسين ، ولكن بحق شرفك عندى ، الا ما أخبرتنى وزدتنى ، متى كان ذلك وكيف ؟• متعك الله بالصحة والشباب والنشاط ••

وأخذتنى نوبة عصبية من الفرح فاستنزلت على الشيخ كل مافى السماوات من خيرات وما فى الجعبة من دعوات • فاقترب منى باسما وهمس فى أذنى وهو يغمز بعينيه :

ـ هى لك •••!

فتجهم فى الحال وجهى ورميت الرجل بنظرة قاسية :

ـ لاتمزح ياشيخ

فابتسم الرجل وقال :

ـ انك لاتصدق • ويحق لك ألا تصدق • فهـذه المرأة على جانب كبير من الخلق والثقافة والذكاء،وليس مابها خفة ولا تبذل ولا حاجة الى مال وانما هو حب اســتطلاع فيما أرى • وقد خدمك الحظ الليلة وربما كان لشخصى الضعيف

أثر فى تمهيد الطريق وفرشـه بتلك الزهور التى ابيض شعرنا هذا فى اصطناعها لمثل هذه اللحظات . لقد تكلمنا عنك طـول الوقت . وعلمت أنها فى باريس ستـنزل فى فندق « ادوارد السابع » وانه قد حجز لها فيـه حجرتان وحمام . وقد استكثرت انا عليها الحجرتين واسـتأذنتها فى أن تنزل لك عن حجرة ..

فمـا تمالكت أن صحت وانا أهتز كالقصبـة من التأثر والاضطراب والفرح والاعجاب :

ـ أقسم لك بشرفك ياسيدى انك أبرع من رأيت على وجه البسيطة، بل أقسم بشرفك ثلاثا انك ملك ارسل الى من السماء وهل من الضرورى أن أرى لك أجنحة حتى أصدق انك ملك من ملائكة السماء !

فمضى الشيخ يقول دون أن يحفل بقسمى وحماستى :

ـ ولقد قبلت آخر الامر بعد الحاح . فهأنت ذا معها منذ الغد فى جناح من الفندق لايفصل بينكما ..

فاسرعت وقاطعته وقد بدا لى ما أزعجنى :

ـ لكن اصغ الى ياسيدى . أتعرف « كليوباترا » وذلك « العبد » الذى أعطته ليلة من لياليها وفى الصباح قتلتـه ؟ أتعرف « سميراميس » وذلك « الاسير » الذى منحته نفسها فى الليل وعند الفجر أسلمته الى الجلاد ؟ أهى تريد بى هذا المصير ؟

فقال الرجل :

ـ دعنا من الجلاد والعبيد ، وهذا الكلام الذى تملأون به

القصص • ان كل ما أعرف الآن ان هذه الجميلة قد امست طوع بنانك !

ـ بنانى • اللهم لطفا بعقلى •• اللهم ••

وانحبس الكلام فى حلقى ولم ار ما افعل فارتميت على حذاء الشيخ فاسرع وأمسك بذراعى صائحا :

ـ ماذا تصنع ؟

ـ أقبل قدميك

ـ هـذا تفعله اذا كنت تبصر على راسى تاجا من الورق المقوى ، أو كنت تحسبنى ملكا من ملوك المسارح • انهض يا ••• « عدو المرأة » • حسبى اغتباطا انى أصلحت بينك وبينها وما تركتـك حتى يسرت لك الامـور ونظمت لك الشؤون • وان طلبت معونتى بعد ذلك فى أى وقت فانك تجدنى فى «جراند أوتيل » بميدان الاوبرا حيث يحجزون لى دائما حجرتى اذ أقيم فى باريس • والآن وقد وضـعت يدك فى يد امرأة جميلة فانى أسـتأذنك فى الانصراف • وليلة هانئة •والى اللقاء !!

وتركنى الرجل ومضى . وانا كمن ذهب لبه وغاب وعيه لا أعرف بعد أن كنت فى قطار يجرى بى على الارض أو فى منطاد يرقى بى الى السماء •••

وكان كل همى وقد دخل القطار «بايس» ان ادبر طريقة الهرب من موريس • لكن ••• كيف الهـرب وحقائبى بين حقائبه • وهو لا ريب شاعر بى اذا أبديت حركة • فلنكن شرفاء • ولنخبره من مبدأ الامر بما خامر النفس وانطوى

عليه العزم · وأردت أن أفاتحه،فوجدته فى النافذة مستقبلا باريس كمن يلقى حبيبا بعد طول فراق · وقد أنساه الشوق والحنين نفسه ومن حوله ، فجعل يصفر بفمه أغنية الراقصة « مستنجيت » :

باريس غادة شقراء
باريس ملكة الدنيا !

فانتهزت الفرصة ، وغافلته مادا يدى الى حقائبى ، أستخلصها من بين الامتعة وأخرجها الى الممر، وأضعها بعيدا عن المقصورة ، قريبا من باب العربة · وفرغت من ذلك كله دون أن يتنبه الى · ففرحت · وحمدت الله ، ولم يبق الا أن أضع قبعتى وأحمل معطفى وعصاى · ففعلت ، وما كدت أهم بمغادرة المكان ، حتى التفت الى هذا اللعين قائلا:

ـ ماذا تصنع ؟

فانخلع قلبى ، وأسقط فى يدى·ولم أر بدا من الكلام · فقلت :

ـ أهرب منك

فقال فى نبرة ساخرة :

ـ وهل نجحت ؟

فملأتنى هذه العبارة غيظا ، وذكرت كل ذلك الجهد الذى ذهب سدى · غير أنى تمسكت بالصبر واصطنعت الحلم ، وقلت له :

ـ اصغ الى أيها الصديق !

فقال باسما :

ـ ها أنذا مصغ

ـ انك تتمنى لى الخير ؟

ـ طبعا

ـ والهناء ؟

ـ طبعا ، طبعا

ـ هنالك طريقة واحدة أنال بها ماتتمنى

ـ ماهى ؟

ـ هى أن تعود فتدير وجهك نحو النافذة ، وتصفر بفمك أغنية « مستنجيت » ، وتجعل كأنك لم تر شيئا ولم تتنبه الى شيء !

ـ وعنوانك ؟

ـ يحفظ بشباك البوستة العمومية

فلم يتردد · وأسرع فاستقبل النافذة · وهو يغمز لى بطرف عينيه ان : « رح ، لست أرى شيئا ولا آتنبه الى شيء ! » · وطفق يصفر :

باريس غادة شقراء
باريس ملكة الدنيا !
عيناك تبتسم
دائما ······
كل من عرفك
وثمل من لطفك

يذهب عنـــــك
ليعود اليـــــك
دائمـــا ٠٠٠٠٠٠٠

سرت الى جانب الجميلة على افريز المحطة فى طريقنا الى باب الخروج ، وقد تغيرت فى عينى مظاهر الاشياء وقدامسى لكل شيء معنى آخر فوق معنـــاه ٠ ومررنا بالقطار الذى كنا فيه ، وهو واقف ، يتصاعد من عجلاته البخار ، ويقطر من جوانبه الماء والغبار ٠فقلت :

ــ هذا «البراق» الذى ركبناه واقف يلهث تعبا ويتصبب عرقا !

فقالت الجميلة :

ــ منذا يقول ان مثل هذا الشيء القبيح قد استطاع أن يقود نا خلال أبهى المناظر ، وأن يعرض على ابصارنا أجمل حلى الطبيعة وأبدع كنوز الخليقة !

فقلت لها :

ــ انه مثل الشاعر ، بل مثل الفنان : زرى الهيئـــة أحيانا ولكنه هو المنوط بقيادة البشر خلال مروج الحسن، وفراديس الجمال ! من أجل ذلك ياسيدتى ، لا أنصح كثيرا للناس أن يتأملوا الفنان من الخارج كما نتأمل نحن الآن هذا القطار ، فانهم لن يروا عليه سوى آثار التعب والغبار !

فالتفتت الجميلة فجاة ونظرت الى وجهى مليـا وقالت باسمة :

– نعم ، أرى ذقنك لم تحلق كما ينبغى !

فخجلت وأردت أن أبدى السبب · لو أن هنالك سببا ، لكنى رأيت مندوب فندق « ادوارد السابع » يقبل نحونا ويرفع قبعته ذات الرقعة النحاسية · وقد بدا لى انه عرف نزيلته المعتادة ، وعرف حقائبها مع الحمالين ، فمشى فى أثرهم · وخامرنى أنا قلق نغص على ما أنا فيه · وجعلت افكر فى أمر هذا الفندق الكبير : فندق « ادوارد السابع » ببابه الدائر كأنه ساقية آدمية · لاينقطع له دوران· يقذف الى بهوه القادمين ويلفظ الى افريزه الراحلين ، وقد وقف عليه فى ملابس ال « جروم » غلامان ضخما الجسم أحمرا الوجه كأنهما ثوران ، يحملان المظلات ويهرعان لاستقبال السيارات · كلا · لن يغمض لى جفن فى مثل هذا الفندق · ولقد كنت دبرت من قبل أمر مسكنى الذى يستطيع مثلى ان يعيش فيه . فنظرت الى الجميلة بجانبى ·

– أين ننزل ؟

– يدهشنى انك لاتعرف

– « ادوارد السابع»؟؟··· انى لا أحب النزول فى فنادق الملوك

فالتفتت الى مازحة باسمة :

– شيوعى ؟؟

– لست كذلك بالضبط · ولكنى رجل تعوزه الشجاعة أن يحيا طويلا فى غمار أولئك الذين خلقوا ليرتدوا ثياب

السهرة فى كل ليلة ويقفوا على مائدة « الروليت » ، ويغرقوا فى مقاعد بهو الفندق الفخم يدخنون « الهافانا » ويتحدثون عن سباق « لونشان» . لقد غلطت ياسيدتي مرة فى سالزبورج اذ نزلت فى فندق « أوروبا» العظيم فهربت فى اليوم التالى .. وجعلت أبحث عن بغيتى حتى وجدتها فى فندق « شتين » المطل على النهر ، المطلى باللون الاحمر القانى ، لون « الطاحونة الحمراء » التى كانت يوما صدر مونمارتر الزاخر بعاطر الهواء . آه ! لكم وقفت الليالى تحت تلك الطاحونة الحمراء أتأمل مراوحها المضيئة وهى تدور. فما أتمالك أن أصيح : تلك رئتاك يامونمارتر ! انك لاتتنفسين الا ليلا .. وما أشعر عندئذ الا وأحد الحمالين كاد يصدمنى بعربة عليها أثقال يدفعها بيده .. فجذبتنى الجميلة من ذراعى جذبة أنقذتنى وقالت فى خبث ظريف :

ـ كاد الشعر يضيعك فأنقذتك امرأة !

ـ انى مدين لك بحياتى !

قلتها فى بساطة غير المؤمن بما يقول ، وفى ابتسامة المجامل وفى سرعة من لم يجد غير ذلك ردا ، واقتربنا من الباب الكبير وقد اصطفت السيارات فالتفتت الى ثانيا قائلة:

ـ اذن لن تأتى معى الى « ادوارد السابع » ؟

ـ ومن قال انك ستذهبين الى « ادوارد السابع » ؟

فنظرت الى بعينين واسعتين من العجب :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى أن أهـل الفن أمثالنا لايحسن بهم اذا هبطوا باريس أن يحيوا حيـاة تجار الحـديد وأصـحاب مصـانع الكبريت ! ان الفنـادق ليست لنا بمنـازل ٠ انى أعرف ذوقك، أنت لاغنى لك عن صور جميلة و « كروكى » بارعة و « اسكيس » غريبة تزين مخـدعك ، أنت لاغنى لك عن مكان رحب تطلقين فيه كل صباح خطواتك الصادحة ٠أنت لاغنى لك عن ضـوء غزير يشع من جدران بلورية ٠ أنت لاغنى لك عن أزهار وأطيار ، و ٠٠

ـ ماهذا الوحى الذى هبط عليك فى المحطة !

ـ انه يهبط على حيثما أنت معى ٠ وهل أنت الا هو !

وأسرعت فأشرت الى سيارة «تاكسى» ٠ انطلقت بنا فى طرفة عين تجوب شوارع باريس ٠ وقد تملك كلانا وجوم الحنين الى هذه المدينة العزيزة فما انتبهنا الا على صـــوت السائق يستدير الينا سائلا عن الجهـة التى اليها نقصـد فبادرت مجيبا :

ـ مونبارناس ٠ شارع « دى لامبر »

فصاحت بى الجميلة :

ـ ماهذا ؟

ـ هذا ياسيدتى المكان الذى ينبغى أن توضعى فيه داخل اطار فوق « شفاليه » كما توضع صور مثيلاتك من الحسان الخالدات !

ـ انك تتصرف فى حياتى على نحو غريب !

- اسمحى أن يكون لى هذا الشرف مرة فى حياتى

ومر براسى تلك اللحظة خاطر فنظرت من نافذة السيارة الخلفية الصغيرة فلم أجد أحدا يتبع أثرى ٠ فعلمت أن الماكر موريس قد ارعوى وانصرف الى شأنه

والتفت الى الجميلة فأبصرت التردد والتجهم قد بدآ يظهران فى شبه خطوط رفيعة فوق جبينها الفضى٠ فرأيت أن أشغلها بالحديث قبل أن ينبت فى رأسها عزم يسيئنى٠ وكنا قد مررنا « باللوفر » ونحن نعبر السين الى الضفة اليسرى على قنطرة « بون رويال » فأشرت اليه وقلت لها :

- ههنا امرأة لها مثل عينيك

فألقت الى نظرة تنم عن فكر شارد ولكن فيها مع ذلك معنى الاستفهام فمضيت فى الكلام :

- هى « لو كريزيا كريفيلى »

فأقبلت على فى انتباه وقد انفرجت أساريرها وتفتح ثغرها تفتح الزهرة بالابتسام وقالت :

- أهى لم تزل على الحائط الايسر فى القاعة المستطيلة !

- بارك الله فى ذاكرتك ! أعترف لك فى خجل أن مسألة الحيطان هذه أكبر من أن يسعها راسى الضعيف !

- لماذا ؟ ان صور « ليوناردو » كلها فيما أظن على الحائط الايسر ! أتذكر معى : « اله الخمر » والقديس « يوحنا » و « الجوكندا » و ٠٠٠

وجعلت تستعرض تلك اللوحات وأنا مشغول منهوب . أرنو الى حركة شفتيها وهى تلفظ أسماءها فى نطق ايطالى لذيذ . وقد فطنت لنفسى حتى لاتفاجىء هذا الرنو الذى قد يكشف عن أشياء يخفيها قناع من البساطة والمرح ..

ودخلت السيارة شارع «دى لامبر» ووقفت على باب كبير ، فانتبهت الجميلة ونظرت الى ، فلم أبادلها النظر ، وأسرعت بفتح باب العربة ونزلت ومددت يدى الى يدها أعينها على النزول . ثم دفعت الى السائق أجره

وقرعت جرس المنزل فخرجت حارسة الباب. فما رأتنى حتى عرفتنى وحيتنى أحسن تحية . والتفتت الى الجميلة وانحنت لها وهى تهمس : « مدام » . ثم عادت موجهة الى الكلام قائلة انها قد تسلمت برقيتى وأعدت المسكن خير اعداد ، ووضعت النار فى المدفأة الكبيرة

وأشارت الينا أن : تقدما . وبادرت هى الى الامتعة فأنزلتها الى الارض وحملت منها ما استطاعت حمله وتبعتنا به . وسرت أنا والجميلة الى المصعد وارتفعنا الى الطابق الخامس ، ثم مشينا الى باب على اليمين وأخرجت من جيبى مفتاحا صغيرا فتحته به . وأشرت الى الجميلة أن : تفضلى فدخلت فى شبه دهليز فى صدره ستارة وفى جانبيه أبواب صغيرة . فنظرت مستطلعة من خلال الابواب المفتوحة فاذا على اليسار قاعة للاكل بسيطة صغيرة منخفضة السقف . واذا على اليمين مطبخ صغير مجهز بالآنية النظيفة اللامعة

وأدوات الطهى والشواء فوق فرن صغير توقد ناره من غاز يجرى فى أنابيب • ثم سلم صغير حلزونى الشكل يوصل الى شبه طابق آخر فيه حجرة النوم والحمام • واقتحمت الستار • فاذا هى فى قاعة هائلة طولها طول المسكن كله وارتفاعها ارتفاعه كله • جدارها الطويل من البلور ترى منه الشمس اذا طلعت وبرج ايفل اذا صفت السماء • وقد انتحى الموقد الكبير ركنا مهملا من أركان تلك القـــاعة يكتنز النار فى قلبه كأنه عاشق مهجور : وفى ركن آخر مكتب كبير عليــه كتب وأوراق وحــوله فرش وثيرة فوق سجاجيد ألقى عليها جلد دب أبيض ووسائد منثورة • وفى الوسط قام « شفاليه » من خشب الجوز يحمل « لوحة » زيتية من عمل المصور النرويجى « اوتو » الذى كان يقطن هذا المكان ، تمثل عروس الرقص « تربسيكور » تمثيلا غريبا لاعلاقــة له قط بلوحــة « شوتزنبرجر » الشهــيرة المعروضة فى متحف اللوكسمبورج

ألقت الجميلة نظرها على هذا كله وهمست كالمخاطبــة لنفسها :

– « ستوديو » ؟!

– نعم ههنا ينبغى أن نعيش

ودخلت حارسة الباب بالامتعة ووضعتها فى الدهليز ثم سألتنا عما اذا كنا نطلب شيئا،فاجبتها بالسلب فانصرفت وأغلقت خلفها الباب ، وأشرت أنا الى حجرة النوم ونوافذها

الصغيرة التى تشرف على القاعة وقلت للفاتنة :

ـ تلك حجرتك · اسمحى لى ان أصعد أمتعتك اليها

وتركتها فى الحال · وصعدت السلم الحلزونى حاملا حقيبتها · ثم عدت الى جانبها وقد دنت من أصص ازهار الميموزا والهورتنسيا على الجدار الزجاجى ، وابتسمت لالوانها ثم التفتت الى :

ـ صدقت · ههنا كل شىء جميل · لكن ···

ورفعت عينيها فى شىء من التردد والحيرة الى حجرةالنوم الوحيدة :

ـ لا أستطيع مع الاسف أن أقبل ضيافتك ، لقد كنت احسب أن لديك ··

فأدركت مرمى قولها وسارعت قائلا :

ـ اطمئنى ! هذه الحجرة لك وحدك لا شريك لك فيها

ـ وأنت ؟

ـ انى سأرقد على هذا الفراش فى هذه القاعة

ـ الى الحق أن أغتصب حجرة نومك والقى الفوضى فى نظام حياتك ؟!

ـ ان الفوضى هى نفسها نظام حياتى · وانت التى لها الحق أن تغتصب قلبى ، أفلا يكون لها الحق أن تغتصب حجرتى ؟!

فضحكت وقالت :

– أصبت . هذا منطق لا بأس به

واستأذنت في الذهاب الى حجرتها لبعض شأنها ولبثت انا في مكاني قليلا . وبدا لى أن أفرغ انا ايضا حقائبى . وأن أهيىء أمرى فى تلك القاعة . .

▭

ومضت ساعة وكلانا غارق فى شؤونه التافهة . وقد أخرجت ملابسى ودسستها فى خزانة بالحائط معدة لحفظ اصباغ التصوير وريشه : والقيت بكتبىالتى ابتعتهاحديثا على « رف » فوق الفراش . ورميت على رأس الدب خفى الاصفر الذى كنت شريته من خان الخليلي بالقاهرة . وقذفت على الوسائد ذات الرسوم الحديثة بعباءتى « الالاجا » الزرقاء . ووضعت « الجراموفون » الذى لا يفارقنى فوق مائدة صغيرة من موائد المعمل . ثم خلعت نعلى وبعض ماعلى من ثياب وذهبت الىالمطبخ فغسلت وجهى ورأسى فيه اذ لم أشأ استعمال حمامها ، وعدت فجعلت « البلغة » فى قدمى وارتديت العباءة . ووخزت بالابرة صدر الجراموفون فانطلقت (رقصة الازهار) للموسيقى (تشايكوفسكى) تتماوج أنغامها فى المكان وتحيط بصورة (تربسيكور) وتكاد تخرجها من الاطار راقصة رقصتها الالهية ، وكانى بالاصص تهتز فوق الجدار ، وكانى بالميموزا تراقص الهورتنسيا . . واذا الجميلة تبدو فى نافذة حجرتها المطلة على القاعة وهى فى (روب دى شامبر) من الحرير قرمزى

اللون موشى بخيوط من ذهب فى لون عينيها • واذا هى تتمايل لوقع الموسيقى فى لطف ورقة ، فخيل الى أنها فراشة جميلة فرت من الجنة أو من حديقة علوية لاوجود لها الا فى مملكة الخيال ، أو أنها هى (تربسيكور) نفسها انطلقت من الاطار ووقفت بالنافذة ، فالتفت الى (الشفاليه) فاذا الصورة أقل شأنا منها فى ابراز روح الرقص • واذا هذا التمايل الخفيف اللطيف كأنه تمايل السنبلة اوالزهرة تحت النسيم ، انما هو شىء لايقع الا من «عروس الرقص» نفسها ! فوجمت لحظة • ورنوت اليها مأخوذا• ثم لم أتمالك أن صحت بها :

ـ تربسيكور !

فلم تجبنى • ولم يبد عليها أنها فطنت لصيحتى حتى سكت الجراموفون • فانتبهت لنفسها ولى • وهمست :

ـ حقيقة ،هذا «الباليه» من اجمل ماكتب «تشايكوفسكى»

واختفت من النافذة • ثم لم ألبث أن رأيت يدها الصغيرة البيضاء تزيح الستار قليلا • واذا هى فى القاعة تقبل على فى خطى رشيقة • وما وقعت عيناها على هيئتى بعباءتى حتى اتسعت حدقتاها وقالت فى دهشة :

ـ عجبا ! كأنى فى حضرة هرون الرشيد !

فأجبتها باسما :

ـ أتأذنين لهرون الرشيد أن يلثم يدك ؟

فمدت الى يدها فوضعتها على شفتى فى خشوع • ثم

أجلستها على مقعد وثير فى صدر المكان.وجلست بين يديها على وسادة فوق الارض جلسة تشبه الركوع.ورفعت عينى الى هذا التكوين البديع . ولم أجد ما أقول ولا ما أصنع . وهل نقول شيئا أو نصنع شيئا اذ نتأمل آيات « اللوفر » وروائع « السكستين » !

– لماذا تنظر الى هكذا ؟

– لست أدرى

والواقع أنى لست أدرى. أتراها أبصرت فى مرآة عينى أشياء خفية لم تطف بعد على وجه نفسى الواعية ؟ انى حتى الساعة لا أعترف فى دخيلة قلبى أن للحب شأنا فيما نحن فيه . فهى ولا ريب لم يكن ينقصها أن تلقى فى حياتها مثلى حتى تعرف ماهو الحب . وانا لاحاجة بى الى التجرع من كاسه مرة اخرى . فليكن لقاؤنا صافيا جميلا . والويل لمن يقع منا الآن فى الحب !

وأرادت أن تقطع الصمت ، فمالت بجسمها ومدت يدها تطلب كتابا أبصرته فوق المكتب . فدنا رأسها منى وقد انحدرت خصلة من الشعر فوق عينيها ، وشممت عطر « الاوبيجان » فى هذا الرأس الجميل أحسن مايكون هذا العطر وكأنه مزج بأريجها هى . فأحسست شيئا يصعد الى رأسى الهادىء ويلقى فيه جمرة . ولعلها رأت احمرار وجهى وجمود موقفى . فقالت باسمة :

– فيك شىء الساعة يشبه الفتى الذى لم يبلغ العشرين!

فانتبهت لعبارتها وقلت على الفور كالمخاطب لنفسى :
ـ أرأيت ذلك ؟!
فلم تجب • وسددت الى نظرة رائشة بأهداب من حرير:
ـ هل أنت أحببتنى !
فأسرعت كالمرتاع :
ـ لاتقولى ذلك !
فضحكت لروعى ضحكة رقيقة وقالت :
ـ انك تخشى الحب كمن يخشى الموت !
ـ نعم
قلتها فى صوت خافت وانا مطرق • ولم أزد • ومضت تقول دون أن ترفع نظرتها المصوبة ، وقد اتخذ صوتها على عذوبته نبرة أخافتنى :
ـ عرفت ذلك منذ النظرة الاولى ، من أجل هذا •••
وسكتت فى الحال • كأنما كادت تنزلق على شفا غلطة• ولم تمنحنى وقتا أسألها فيه ، ونهضت وهى تنظر الىساعة فى معصمها ، ثم قالت :
ـ ألا تخرج ؟
ـ نعم
ولم أتحرك من مكانى • ولم أنتبه الى الكلمة وهى تخرج من فمى • ولم افطن الى عبارتها الاخيرة • ولم أحس ذهابها الىحجرة النوم وعودتها بملابس الخروج،بعد زمن لاأستطيع

تقديره ، ولكنى فطنت هذه المرة الى قولها فى صيحة دهشة

ـ عجبا ! ألم تتحرك ؟ ماذا بك ؟

فرفعت رأسى ونظرت حولى وقمت للفور أقول فى شبه فزع :

ـ أنت ذاهبة ؟

فحملقت فى وجهى . فتذكرت ، وأسرعت فخلعت عباءتى وارتديت سترتى وتناولت عصاى وأنا أقول :

ـ نعم ، فلنخرج للعشاء .. أين ؟

ـ عند (الاب لويس) فليس له فى باريس نظير فى شى الدجاج !

جلسنا فى ذلك المطعم الىخوان بالقرب من النارالمستعرة فى شبه موقد بالجدار نصبت فيه « أسياخ » طويلة رفيعة قد رشق بها دجاج شهى ، تلحسه عن بعد أطراف السنة من اللهب حمراء ، وقد جاءنا الغلام بورقة « النبيذ » البورجونى فنظرت فيها « ناتالى » وقالت :

ـ « شابلى »

ـ زجاجة « شابلى » !

قالها الغلام وهو ينظر الى . فقلت دون وعى :

ـ نعم . وانا « بومار »

ـ زجاجة « بومار »

ـ نعم ، نعم

فصاحت الجميلة :

ـ زجاجتان ؟ هذا كثير . انى لا أريد أن يذهب لب مولاى هرون الرشيد

فقلت فى شيء من المرارة وكأنى أخاطب نفسى :

ـ لقد ذهب لب مولاك هرون الرشيد وانتهى الامر !

فضحكت ضحكة رقيقة ونهضت قائلة انها تريد مكان «التواليت» . وتركتنى مطرقا غارقا فى جو مبهم من الانقباض . وعادت بعد برهة الى جانبى دون أن أشعر بها . فرفعت رأسى اليها فوجدتها تتأمل وجهها فى مرآة صغيرة بين أناملها . فجعلت أتأمله أنا أيضا وجعلت عينى تتنقل من جبينها الى أنفها الى شفتيها الى يديها الى نحرها . وقد غمر نفسى خوف وكآبة . وأدركت لاول مرة الوزن الحقيقى لتلك الكلمة التى قلناها فى خفة وبساطة أنا وموريس : « الجمال المخيف » . وأقبل علينا الغلام مسرعا يعلن أن فى التليفون من يطلب «السيدة» ، وأشار الى ناتالى . فنهضت على عجل واستأذنتنى بنظرة ومضت . ففهمت أن ذهابها فى المرة الاولى لم يكن للزينة وحدها ، وعادت بعد قليل وجلست دون أن نلفظ حرفا . وجاء النبيذ المعتق فى زجاجتين يعلوهما التراب والعنكبوت ، وسكب الغلام فى الاكواب . ورفعت ناتالى كأسها الى شفتيها الرطبتين وهى تقول فى صوت كالهمس :

– فى صحة مولاى !

– فى صحة جاريتنا !

قلتها دون أن أضحك ودون أن أبسم وفى شىء من الصرامة وسوء الخلق . وأردت أن أرفع الكوب الى فمى فاهتز فى يدى اهتزازا كاد يريق ما فيه على غطاء الخوان الجميل . ونظرت ناتالى الى يدى المرتجفة والى جهدى فى حمل الكأس المتلاعبة، والى يأسى ووضعى الكوب فى مكانه من المائدة دون أن أشرب شيئا فقالت فى نبرة غريبة :

– الآن فلتسمنى ما شئت !

□

ذهبنا بعد العشاء الى حانة « الارنب المخيف » حيث سمعنا أغانى باريس القديمة . وأقول « سمعنا » من قبيل التجاوز . فأنا لم أسمع شيئا ولم أع شيئا . وعدنا فى منتصف الليل أو بعده بقليل أو كثير . لا أدرى . ودخلنا (الاستديو) ووقفت عند الستار الموصل الى القاعة الكبرى ومددت يدى الى ناتالى مشيرا بالتحية :

– نوما هانئا يا سيدتى

وتركتها تصعد الى حجرة النوم . وذهبت أنا الى الفراش الممدود بقرب المكتب . فخلعت ملابسى على عجل وأطفأت النور وارتميت بين الوسائد أطلب النعاس . ولكن نور حجرتها كان ينفذ الى من نافذتها المطلة على قاعتى . فلم يغمض لى جفن حتى أطفأت هى نورها . وشمل الظلام المكان

فحسبت انى عندئذ سأنام · ولكن النوم امتنع على · وجعلت أتقلب الساعات يمينا وشمالا فى طلب اغفاءة لا تأتى الى أن وثقت من أن النوم الليلة شىء بعيد المنال · فقمت وأضأت القاعة وجلست الى المكتب أقرأ كتابا · وقرأت بالفعل سطرين أو ثلاثة ثم وضعت رأسى بين كفى ولبثت على هذه الحال حتى طلع النهار وسمعت صوت سيارات (الاوتوبيس) الاولى تنطلق كالفرحة بالصباح الباكر فى (بولفار رسباى) فنهضت من فورى · وارتديت ملابس الخروج فى غير جلبة ولا ضوضاء حتى لا أوقظها · وقبل أن أغادر المكان ذهبت الى المكتب وتركت عليه هذه الكلمة :

سيدتى :

لم يبق أمامى غير الفرار

□

انطلقت من ساعتى الى فندق (جراند أوتيل) بميدان الاوبرا ، وسألت عن (الشيخ) · فقيل لى انه قد استيقظ مبكرا كعادته · وانه الآن يتناول طعام الافطار فى حجرته · فبعثت اليه بطاقتى ، فأذن لى فى الدخول عليه من الفور · ولم يكد يرانى حتى صاح بى :

ـ أيها الرجل السعيد ! ما كنت أتوقع رؤيتك ها هنا بهذه السرعة ! أين الجميلة التى وضعت يدك فى يدها البارحة ؟

ـ قد طلقتها

فحملق فى وجهى كمن ظن بى مسا :

ـ أنت ؟ !

فنظرت اليه ولم اتكلم · فمضى متعجبا :

ـ أنت ·· فعلت هذا ؟ !

فقلت وعيناى الى الارض كمن اقترف اثما :

ـ نعم ···

فقال الشيخ وكأنما يخاطب نفسه :

ـ أنت الذى اراد امس أن يقبل قدمى من أجلها ! !

فتشجعت ورفعت رأسى قائلا له :

ـ اسمع يا سيدى الجليل ···

ـ لا أريد أن أسمع فى أمرك شيئا

وجعل يسير فى الحجرة ذهابا وايابا · وهو مطرق حزين، كأنما فقد اسهما ذات شأن فى (بورصة) أعمـــاله فى (بخارست) ! ولم ادر ماذا أصنع لأهون عليه الخطب · فلزمت الصمت · وجعل هو يضرب كفا على كف ويقول :

ـ طلقها !

فاعترضته قائلا :

ـ اصغ الى لحظة ···

فلم يلتفت الى ومضى يقول :

ـ طلقها هرون الرشيد ! بعد ليلة · لا بعد الف ليلة وليلة !

فنهضت اليه متوسلا متذللا :

ـ يا سيدى ! ألا تصبر على حتى أوافيك بالاســـــباب وأواتيك بالحجج !

فصاح فى وجهى :

ـ حجج ! أتريد أيضا أن تقدم حججا على هذا الكفر !

فأطرقت فى خزى . ومضى الشيخ يقول :

ـ يا للقسوة !

فرفعت راسى قائلا :

ـ قسوة من ؟

فلم يحفل بى وجعل يقول :

ـ أتزعم أن لك قلبا من لحم ودم !

فلفظت زفرة من أعماق نفسى المهدمة :

ـ آه يا سيدى . انك تظلمنى . وحق جمال تلك الفاتنة أنى لم أعرف طعم النوم منذ فارقتنا

فأنقذتنى هذه الآهة . وأقبل على الشيخ مسرعا . وقد انقلب غضبه وسخطه حدبا وعطفا :

ـ أرنى عينيك أيها المسكين !

ووضع منظاره على أنفه وجعل يحد الى البصر كأنه طبيب عيون يفحص عين مريض :

ـ نعم ، نعم ... أرى تباريح الهوى ، وتباشير الألم..

ـ تباشير ۰۰۰؟!

قلتها وأنا أحملق فيه ۰ لكن الشيخ جذب مقعـــدا أدناه مني ، وجلس فيه راضيا باسما ، وأشعل ســيجارا وجعل ينفخ الدخان في راحة واطمئنان ويقول :

ـ الآن ، هات حججك واسبابك !

فنظرت الى الرجل طويلا دون أن اتكلم ، نظرة المستطلع المتسائل عن سر اغتباط هذا الرجل لعذابي كأن بيني وبينه ثارا قديما ۰ ورفع الرجل سيجاره عن فمه ، ولحظني بطرف عينه وقال :

ـ قبل ذلك ريد أن أسالك : هل تعـــرف شيئا عن ناتالي ۰۰۰؟

فأجبت :

ـ مطلقا ۰ امرأة فاتنة وكفى !

فقال :

ـ اسمح لي اذن أن اقول لك اني اعرف اكثر منك قليلا . لقد فتن بها بين من فتن ثلاثة رجال، أولهم مات منتحرا ۰۰

فتراجعت ذعرا في مقعدي صائحا :

ـ الله أكبر !

فلم يهدىء الشيخ من روعي ولم يلتفت الي،ومضى يقول:

ـ وثانيهم ۰۰۰ فقد ثروته

ـ معقول ۰ والثالث ؟

ـ الثالث وكان فنانا ...

ـ آه ..

ونهضت أرتمي على قدمي الشيخ :

ـ أتوسل اليك .. أتوسل اليك أن تنقذني مما أنا فيه .. قبل فوات الاوان !

ـ والثالث ...

فصحت به :

ـ لا أريد أن أعرف ما حدث للثالث ... ارحمني ! لقد تبت وأنبت ..

ـ والثالث .. كان فنانا .. موسيقيا

فبادرت صائحا :

ـ آه .. أحد أمرين : اما انه باع « الكمنجة » واما انه شنق نفسه بالاوتار !

فابتسم الشيخ وقال :

ـ لا هذا ولا ذاك . وضع لهـــا « فالس » يعد من خير ما أنتجته قريحته

فاطمأنت نفسي قليلاوهدأ ثائري وقلت كالمخاطب لنفسي:

ـ نعم . ليس للفنان الحق في أن يموت بالحب أو بغيره . قبل أن يؤدي الاتاوة الى اله الفن !

فقال الشيخ :

ـ لقد قالت هي أيضا ذلك

ـ ماذا قالت ؟

ـ قالت ونحن نتآمر عليك ٠٠٠

ـ تتآمران على ؟!٠٠

فاحس الشيخ أنَّ لسانه قد زل ٠ ولم يستطع التراجع، فاقبل على قائلا :

ـ آن الاوان أن أعترف لك أيها الصـــديق بما كان من الأمر

ـ تعترف ٠٠؟!

قلتها في دهشة ، وقد أدركت أن القناع سيسقط أخيرا عن وجه حقيقة أخفيت عنى ٠ وتنحنح الشيخ وقال :

ـ قبل كل شيء ينبغى أن تعلم انى من هواة الرياضة ٠ وأحب الرياضة عندى تسلق الجبـــال وصيد الوعول ٠ أما التسلق فها أنا ذا آت منه ٠ وأما الصيد فان موسمه يبدأ فى سبتمبر ٠٠ وأحيانا فىاكتوبر ٠ هذا يتوقف علىالمنطقة وعلى ٠٠

وقاطعته قائلا :

ـ أحسب انك اردت ان تحادثنى فى امر يتعلق بى ؟

ـ انى انما أتكلم فيما يتعلق بك ٠ ان موسم الصيد فى سبتمبر أو فى اكتوبر ، أى بعد شهر طويل ٠ وانى لانتظر افتتاح الموسم نافد الصبر

ولقد تحدثت فى ذلك الىالجميلة فىالقطار ساعة العشاء،

فاذا هي أيضا تحب الصيد ٠ كل أنواع الصيد: صيد الوعول وصيد القلوب، وجاء ذكرك ، وطاف بخاطرنا وصف صاحبك لك ساعة الشاى انك « عدو المرأة » ، فتراهنت الجميلة معى على أن تصوب الى قلبك سهما يدميه ويستقر فيه قبل صياح الديك ، فما رأيك ؟ انى أتمنى أن تربح الفاتنة الرهان ٠ فليس من الكياسة وقد افتتحنا معا موسم الصيد ان اجعل سهمها يطيش !

وسكت الشيخ ونظر الى باسما ، فنظرت اليـــه ناقما ، وقلت فى سخرية مرة :

ـ ما كان أغناكما عن هذا التجشم ، وافتتـــــاح موسم الصيد فى الصيف من أجل قنيصة هزيلة !

فقال الشيخ وهو يرسل الدخان فى الفضاء :

ـ قلبك الكبير ليس فريسة هزيلة !

فلزمت الصمت قليلا ٠ وأطرقت لحظة ٠ ثم قلت :

ـ والآن ٠٠٠ انت مغتبط بهذه الرياضة ٠ وبرؤية دمى يشخب ؟

فقال :

ـ لقد نبهت جميلة الى مسالة الدم هذه ٠ ولقد تكفلت لديها بتضميد الجرح ٠ غير أنها قالت : « لا شان لك به ٠ ان دم الفنان من نصيب اله الفن دائما » !

فلم أجب ٠ وجعلت أفكر ٠ وقد انكشف لعينى كل الامر ٠

فما هو الا لعب هازلين مترفين • فنهضت ومددت يدى الى الشيخ الثرى قائلا :

ـ وداعا يا سيدى الرياضى البارع !

فصاح بى :

ـ هكذا سريعا !

فقلت :

ـ نعم ، ينبغى أن أذهب سريعا

ـ الى أين ؟

ـ الى اله الفن • ما دمتما قد خرجتكما من الامر وبرئت ذمتكما • وتركتمانى بدمى هبة له • فلاذهبن اليه • وهو لا ريب شاكر لكما العطية

ـ وأين هو ؟

ـ فى المعبد

ـ وما هو عنوان المعبد ؟

ـ يحفظ بشباك البوسته !

فضحك الشيخ وقال :

ـ انه اذن كثير التنقل • يذهب فى كل جهة بمعبده كما اذهب أنا بحقيبتى

ـ ويحب التسلق مثلك • ولكن جباله من نوع آخر

فامسك الشيخ بيدى وجذبنى الى المقعد قائلا :

ـ اجلس هنيهة ، وحدثنى عنه !

فسحبت يدى فى رفق وقلت :

ـ لا أستطيع ذلك الآن · أعدك بذلك فى يوم آخر أما الآن فأرجو منك أن تدعنى أذهب

فنظر فى عينى مليا وقال :

ـ أتذهب اليها ؟

فاختلج قلبى :

ـ من هى !

فقال الشيخ فى نبرة المتسامح :

ـ فاتنتنا

ـ الراقصة !

قلتها فى شىء من عدم الاكتراث المصطنع، لا أظنه قد خفى على الشيخ · فقد لحظته ابتسم · لكنى مضيت فى كلام الخيال لاستر حقيقتى المضطربة :

ـ بل انى ذاهب اليه هو

فقال الشيخ فى تهكم خفيف :

ـ اله فنك !

ـ نعم

ـ وما وجه العجلة ؟ ما زال فى الوقت فسحة · ونحن ما زلنا فى الصباح الباكر · وما أحسبه بعد قد استيقظ هذا الاله البوهيمى !

فقلت :

ـ انه يتناول طعام افطـــاره الآن . وأمامه الابريق والفنجان . وهو لا شك ينتظر دمى حارا !

وأسرعت بتحية الشيخ ، وخرجت من حضرته فى شبه ركض ...

▭

عدت توا الى مسكنى فى ذلك « الاستديو » فلم أجد أثرا للراقصة . وهذا أمر طبيعى . لقد انصرفت بأمتعتها . ولم تترك لى غير بضعة أسطر خطتها بالقلم الرصاص تحت كلمتى التى كنت قد تركتها لها فوق المكتب . ولم تكن الورقة فى المكان الذى وضعتها فيه . بل وجدتها فى فم الدب الذى يزين جلده الابيض أرض القاعة الكبرى ...

فتحت الورقة وقرأت هذه الكلمات :

سيدى :

وأنا لم يبق لى الا أن أطرح القوس والنشاب وأذهب ، نفير السيارة يدعونى بالباب ، ونفير الصيد يؤذن بالانتهاء قبل صياح الديك ! لقد فرت القنيصة والسهم عالق بقلبها، وكل بغيتنا الرياضة لا الاحتـــفاظ بالجلود ، شـكرا على الضيافة ..

ناتالى ...

فطويت الورقة وألقيت بها على الارض بعيدا ، وجلست

على جلد الدب وأسندت رأسي الى رأسه ، وقلت مخاطبا نفسي في زفرة المحزون وآهة المجروح :
ـ لاتريد أن تحتفظ بجلدي ؟

□

مرت اللحظات وتعاقبت الساعات وأنا في مكاني لاأبدي حراكا . ولقد فقدت كل ادراك للوقت فلم أدر هل انتصف النهار أو مالت الشمس الى المغيب . ولقد غامت السماء . كما غام كل شيء في عيني . ولم أحس الجوع . ولم تنزع نفسي الى غير هذا السكون الكئيب

ورفعت رأسي آخر الامر ونظرت الى ما حولي ، فخيل الى أن كل شيء نائم جامد لا روح فيه . فازهار الميموزا والهورتنسيا بدت لي كأنها مطرقة هي الاخرى . وعروس الرقص « تربسيكور » راقدة في اطارها كالمومياء . والنور الذي كان يتدفق من الجدران البلورية فيملأ المكان اشراقا، انما يملأ الآن قلبي ليلا حالكا . كيف أستطيع الاقامة في هذا المسكن الآن ؟ ان تلك الراقصة قد أفسدته على . لماذا دخلته لتخرج منه وشيكا ؟ لماذا جملته بوجودها وعطرته بأنفاسها وأحيت جماده بروحها ،لتتركه بعدئذ أوحش من القبر ؟

آه .. بكم أشترى لحظة أخرى أراها فيها واقفة في هذه القاعة وهي في ذلك « الروب دي شامبر » الحريري القرمزي

الموشى بذهب فى لون عينها !

انى لم أنم الليلة الماضية وهى بالقرب منى ٠ فهل أنام الليلة المقبلة وهى بعيدة عنى !

وارتعدت لهذه الفكرة ولم أحتمل تصورها ٠ فوثبت كالمجنون الى الطريق ، أبحث عنها ٠ وذكرت أنها تنزل فندق « ادوارد السابع » ٠ فقلت : هى ولا شك هناك ٠٠ فاستوقفت سيارة مارة انطلقت بى الى الفندق

ودخلت من ذلك الباب الدائر الى البهو ، وسالت فى عجلة موظف الفندق عن السيدة فقال لى :

ـ انها فى الخارج لم تعد الى الفندق بعد

فبادرت أسال :

ـ ومتى خرجت ؟

ـ بعد الغداء

وكدت ألقى سؤالا آخر :

ـ مع من خرجت ؟

ولكن الله عصم لسانى من الزلل ، وحرت فيما ينبغى أن أفعل ، ورأيت آخر الامر أن أذهب ثم أعود فى المساء ، فخرجت الى مشرب صغير فى منعطف الطريق ، فجلست الى مائدة من موائده وطلبت كوبا من الجعة ، وضعته أمامى ولم أمد اليه يدى ، فقد كان جسمى وروحى بين يدى صورة ناتالى ٠٠٠٠

جاء المساء ، فعدت الى الفنـدق اسأل عن الجميلة .. فقيل لى انها جاءت . فأخرجت بطاقتى ودفعتها الى موظف الفندق ورجوته فى أن يقدمها اليها ويستأذن لى فى مقابلة صغيرة . وانتظرت فى البهو الجواب وأنا أتقلب على نار الخوف والقلق . ومضى قليل. واذا المصعد يهبط وفيه شاب أنيق يرتدى لباس السهرة فتقدم الى حاملا بطاقتى فى يده وقال :

ـ ان السيدة تعتذر . ان لحظاتها كلها مشغولة ، وهى تشكر لك الزيارة !

وانحنى قليلا ثم عاد أدراجه وارتقى بالمصعد واختفى عن نظرى كما اختفى كل شيء في هذا الوجود . فقد اسودت الدنيا فى عينى . وكان خلفى مقعد وثير ضـخم فارتميت غارقا فيه ...

مر زمن لست أدرى مقداره ، ثبت بعده الى نفسى وهممت بالقيام والذهاب ، واذا أنا أرى المصعد يهبط واذا الجميلة فى رداء المساء البراق كأنها قطعة من الشمس تسـير على الارض ، قد خطت فى البهو نحو الباب الدائر يحيط بهـا فتيان ثلاثة يرتدون « الفراك » وكلهم جميل أنيق حليق وخرجوا خلفها الى سيارة فخمة تنتظرهم بالباب ، فتدافعوا بالمناكب يفتحون لها بابها .. ثم انطلقوا جميعا كما تنطلق الانشودة المرحة ..

ضربت على غير هدى فى حانات باريس وملاهيها حتى الهزيع الاخير من الليـل • ولم اجرؤ على العودة الى المسكن قبل الساعة التى قدرت أن النوم يقهرنى فيها قهرا

ودخلت فخلعت ثيابى توا ، والقيت بجسمى على الفراش واغمضت عينى ، واستعنت بعزيمة ماضـــية عـلى طلب النعاس • وخيل الى انى نجحت • فلقد رحت فى اغفاءة عميقة • ومضى وقت لست أدرى أهو دقيقة أم ساعة • واذا أنا انتفض انتفاضة ايقظتنى ، وكأنما شىء قد وخـــزنى فى قلبى • فقمت أصيح فى جوف الظلام :

ـ يا اله الفن ! لماذا تفعل بى ذلك ؟ لماذا تصنع بى ذلك دائما ؟ !

وذهب النوم من عينى • فجلست القرفصاء فى سريرى واضعا رأسى فى كفى ،محدقا ببصرى فى سواد الليل المحيط بى • وجعلت أقول :

ـ آه • • • ما من مرة صادفت فيها امرأة هزت نفسى الا كانت تلك هى النهاية ! لماذا يا اله الفن يروق لك دائما أن تجرح وتذل هذا القلب الذى هيىء لخدمتك !

وغرقت فى الصمت • ولكن كلمة « اله الفن » ما زالت تطن فى اذنى كأن لها حقيقة واقعة • وطفقت أردد :

ـ اله الفن ! اله الفن ! اله الفن !

نعم • انه هو وحده الذى أتوجه اليه مستجيرا من أثقال حياة يقودها بالسلاسل فى موكبه الحافل

ونظرت أمامى فى الظلام وقلت :

ـ انك فى المعبد ! آه لو إلقيت الى نظرة من فوق عرشك!

وأحسست شيئا من العزاء فى هذه الفكرة • وجعلت أبحث عنـه بعينى فى الظلام • ترى اين هـو الآن ؟ لست أدرى لماذا تمثل لى عندئذ بناء « الموزارتيوم » الفخم الضخم فى « سالزبورج » ! هذه المؤسسة الدولية التى اشتركت فى انشائها الامم المتحضرة اعتـــرافا بعبقرية « موزار » ، وجعلت منها معهدا عاليا لدراسة الموسيقى ومتحفا لآثاره ، ومسرحا لابراز أعماله • هنالك فى القاعة ذات الحيطـــان الذهبية ، حيث أصغيت الى « سانفونية جوبيتر » تســيل ألحانها كالماء الزلال من أصابع النبى « توسكانينى » ، خيل الى أنى سمعت همسات الاعجاب من اله الفن

ثم هنالك فى بناء المهرجان « الفشتسبيل هاوس » حيث شاهدت أوبرا « أورفيوس وايروديس » و « تريســـتان وايزولت » لمحت ايضا حركات تصفيق خفية من يدى اله الفن •••

وفى كنيسة « سان بيتر » حيث أصغيت الى ألحان موزار الدينية فحرت وتساءلت : أترى عبــقرية مــوزار هى التى خدمت الكنيسة أم أن الكنيسة هى التى أظهرت عبقـــرية موزار ؟ هنالك أيضا شعرت كأن اله الفن كان حاضرا ينثر على تلك الانغام الملائكية ابتسامة الرضا

وأمام الكاتدرائية ثم فى صدر الجبل حيث رأيت قصة

« بيدرمان » وقصة « فوست » من اخراج « رينهارت » ، فوجدت التناسق الفنى والخلق الذهنى والتصور القوى على اتم ما يمكن أن يخرج من رأس فنان تمثيلى ، بدا لى أيضا أن اله الفن كان ناظرا فى سرور

نعم • كل ذلك لا ريب فيه عندى ، انى موقن بأن اله الفن كان منى غير بعيد أمام كل هذه المظاهر الفنية العظيمة

آه •• ولكنى أريد أن أراه الساعة وجها لوجه • لاجثو عند قدميه وأشكو اليه •••

ومرة أخرى أرى فى الظلام دون أن أدرى السبب بعض ما رأيت من مناظر سالزبورج • فتلك بحيرة « فولفجانج » على شاطئها فندق « الحصان الابيض » كأنه طير يرد الماء • وهذه بحيرة « زل آم سى » فى قاع جدران عالية من جبال تحيط بها كأنها آنية من الخزف الازرق صنعها مهرة فنانى فنيسيا

نعم • ها هنا الطبيعة الألهية والعبقرية الآدمية تلتقيان!

ها هنا يد السماء فى هذه الجبال والبحيرات، ويد الانسان فى هذه المؤلفات التى خلفها موزار تتصافحان !

فى هذا البرزخ بين الارض والسماء ، وفوق هذا الجسر بين القدرة العلوية والموهبة البشرية ، لمحت فى الظلام عجلة تشبه عجلات قدماء المصريين • تأتى مسرعة يجرها ثمانية جياد شهباء ، كتلك الجياد المطهمة الجميلة التى شـــاهدت رسمها يزين سقف قاعة التدخين الكبرى فى بيت المهرجان!

وتقدمت العجلة فى دوى من صليل السلاسل وصهيل الخيول ، يحف بها موكب لم ار له آخرا . ولم استطع ان أميز وجها من الوجوه • فقد كنت فى ذيل الصفوف أسير دامى القدمين مقيدا فى أغلال من حبال « الليف » تربطنى مع غيرى من الالوف ، كأننا أسرى من العبيد خلف عجلة رمسيس المنتصر

ووقفت العجلة ووقفنا أمام بحيرة « زل آم سى » وقد صفا ماؤها صفاء دمعة الحسناء • ورق النسيم•وتالق حلى السماء واذا أجسام بضة مضيئة كأنها قطع النور تسبح فى البحيرة ثم تخرج متدثرة فى غلائل دمقسية مختلفة الالوان • واذا هى ترقص حول العجلة رقصات الهية كأنها رقصات «سالومى» فى السبع الغلائل الحريرية

فحددت البصر الى الراقصات الجميلات ، فاذا بينهن نساء قد عرفتهن فى يوم من الايام • فتلك « سنية » وتلك «ريم» وتلك « سوزى » وهذه ••• عجبا ••• عجبا يا الهى ••• وهذه « ناتالى » •••

نعم • هذه ناتالى بعينها فى تمايلها اللطيف الذى يماثل تمايل السنبلة فى الحقول ، كما رأيتها تفعل على وقع أنغام « رقصة الازهار » لتشايكوفسكى • ورقص الجميع عند أقدام اله الفن • تحت أنظار العبيد الملتهبة • وحدق الاله فى عيون أسراه وأدرك ما بهم ، فسلم الى كل راقصة قوسا ونشابا وبضع زهرات • فقذفن الاسرى بالزهرات •

فالتقطوها كالمجانين · وأراد بعضهم أن يقطع الحبال ويجرى نحوهن ، فاومأ اليهن اله الفن ، فرفعن القسى فى أيديهن ورمين ···

آه ·· انى أعرف الساعة فى قلبى سهاما أربعة منغرسة فيه كأنها السنابل · آخرها ذلك السهم المنطلق من قوس الراقصة البولونية ···

وصحت عندئذ صيحة مدوية ، التفت اليها اله الفن قائلا:

ـ من هذا ؟

فرفعت صوتا متمردا قاصفا :

ـ لماذا تفعل بنا هذا ؟

فنظر الى حيث أقف وقال :

ـ عبد يعترض ؟ !

فقلت فى ذلة واطراق :

ـ حاش أن أعترض · انما أنا أسال عن العلة وأطلب أن أفهم الحكمة ···

فأجاب فى هدوء وجلال :

ـ أنتم جميعا فى خدمتى · أنتم لى وما ملكت أيديكم · أنتم رقيق مشدود الى عجلتى · لكم أن تنظروا الى راقصات معبدى ، وأن تتأملوا جمالهن ، وأن تلتقطوا ازهارهن ، وأن تستلهموا حسنهن وحبهن ، ولكن اذكروا دائما أنهن لسن لكم · كل مالكم من متاع حقيقى هو هذه الحبال من الليف

التى تربطكم أبدا الى عجلتى !

فصحت به :

ـ أبهذا نخدمك ؟

فقال :

ـ نعم ... !

فصحت :

ـ ماذا نصنع لك ؟

فقال :

ـ تصنعون لى أردية جميلة

فادركت عندئذ حقيقة الموقف . غير انى تجرأت وقلت :

ـ وهل نستطيع ذلك وقلوبنا قد رشقت بالسهام ؟!

فابتسم وقال :

ـ ألم تر الخياط الذى يفصل لك رداءك كيف يعلق بذراعه قلبا من القطن قد غرست فيه الدبابيس !. هذا عمله .. انتم أيضا معشر الخياطين المنوطين بصنع أرديتى يجب أن تكون لكم قلوب قد غرست فيها السهام ! هذا عملكم !

فتفكرت قليلا ، وقد أفحمنى الجواب ، وأشرت الى الراقصات قائلا :

ـ وهؤلاءهن المكلفات بتوريد الدبابيس !

فأجاب فى ابتسامته الخفيفة :

ـ أراك الآن قد فهمت

فاطرقت مليا . وقلت مخاطبا نفسى :

ـ نعم ، نعم ...

ثم التفت اليه ، وأنا أخر ساجدا مستغفرا :

ـ عفوك ! لقد نسيت أن هذا من عملنا . وأن تفصيل أرديتك فى حاجة الى كل هذه الادوات ...

وشعرت بعدئذ براحة تملأ نفسى ، وأخذنى نوم عميق، لم استيقظ منه الا فى ظهر اليوم التالى . فنهضت وأنا لا أذكر ناتالى . ولكنى ذكرت صاحبى موريس وقلت :

ـ عجبا ! يخيل الى أن هذا الخبيث قد حدثنى فى أمر يشبه مسألة الدبابيس . ولقد تمنى ذلك هو أيضا .وأراد أن يحملنى على الاكثار من صنع الاردية ، كأنه أحد سماسرة الخياطين !

وارتديت ثيابى على عجل وأنا أقول :

ـ الى العمل ! الى العمل !

ويممت شطر « شباك البوستة العمومية » ، حيث وجدت فى انتظارى رسالة من صاحبى الفرنسى يقول فيها :

« صديقى ...

« أبادر بالكتابة اليك ، لان قلبى يحدثنى أن الرقصة الاخيرة قد انتجت أثرها . وان قلبك النائم المتثائب قد استيقظ . وانى لاسمع له على البعد صوتا كفوران الشمبانيا ذات الحبب فى الزجاجة المختومة . فعلينا اذن أن نسرع اليه بالكؤوس

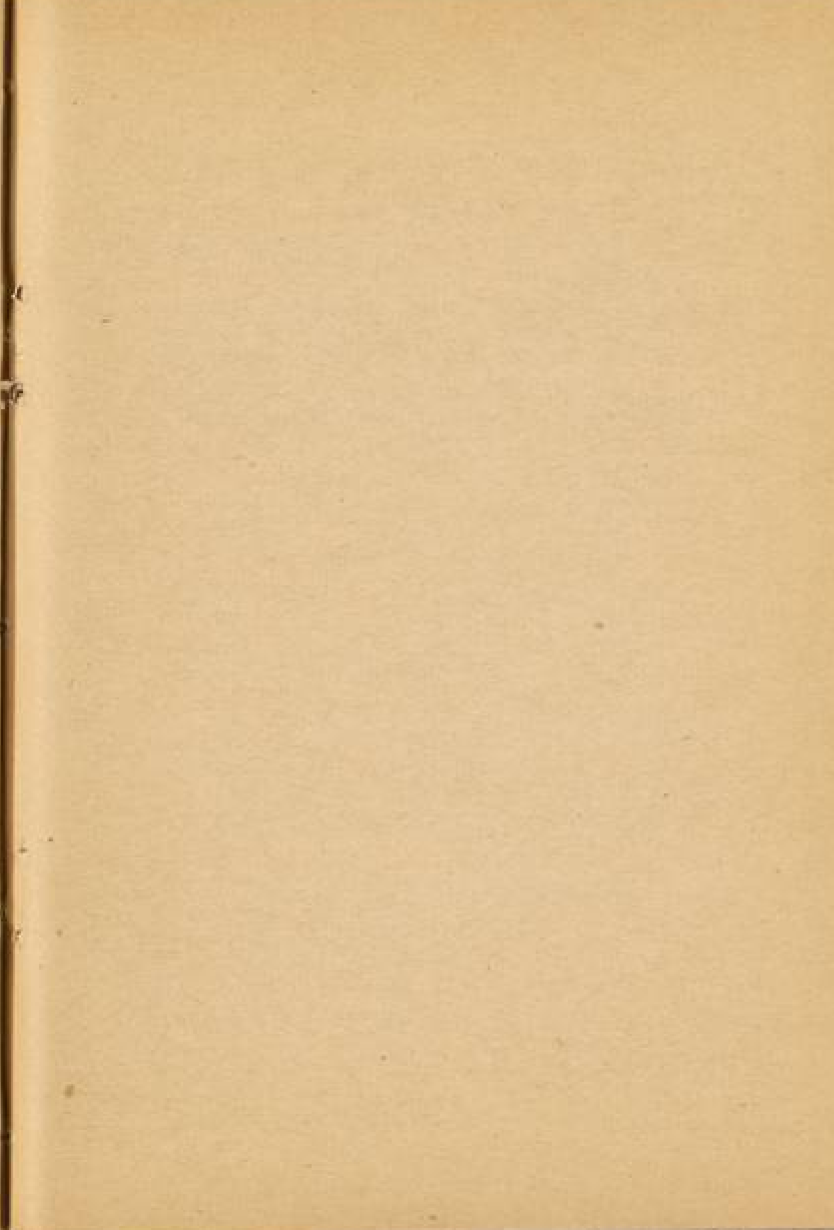
« انى أتناول العشاء دائما فى قهـوة « سيرانو » التى تحبها بمونمارتر . انى أنتظرك، والاعمال تنتظرك ، فارجع الى أحضان الفن

موريس »

فوضعت الرسالة فى جيبى . وتنهدت من أعماق قلبى المرصع بالسهام :

ـ نعم وا أسفاه ! ليس لى دائما غير أحضان الفن !





فهرس

صفحة

مقدمة ٧
الى الشيطان ٩
حديث الشيطان ١١
فى المنام ٢٣
« راديوم » السعادة ٣١
فى حانة الحياة ٤٣
حقوقى على نفسى ٥٣
مع الاميرة الغضبى ٦٣
أمام حوض المرمر ٧٣
بين الحلم والحقيقة ٨٧
عدو ابليس ١٠١
فوق السحب ١١٣
كن عدوا للمراة ١٢٣
من الأبدية ١٢٩
راقصة المعبد ١٣٧

كتاب «الهلال»

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لاحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج انيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما ـ ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم ـ بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية :

عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد

غاندي : القديس الثائر
تأليف لويس فيشر

ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج

زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد

هرون الرشيد
تأليف المرحوم الدكتور احمد امين

الزعيم احمد عرابي
تأليف عبد الرحمن الرافعي

أبو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد

بطلة كربلاء (نفدت نسخه)
تأليف الدكتورة بنت الشاطيء

جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف ف . يان

اشعب امير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم

قلب البشر
تأليف اوكتاف اوبري

نفرتيتي ربة الجمال والتاج
تأليف صوفي عبد الله

السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد أبو حديد

حديث رمضان
تأليف الامام محمد مصطفى المراغي

عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ. س. ارمسترونج

كليوباترة فى خان الخليلى
تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيزجاويش

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)
تأليف الزعيم أحمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم أحمد عرابى

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

ابو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى

فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى

ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحى رضوان

مدرسة المغفلين
تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك
تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

الارواح المتمردة ـ الاجنحة المتكسرة

الموسيقى
تأليف جبران خليل جبران

علمتنى الحياة
لنخبة من الشرق والغرب

عش مائة عام
تأليف جايلورد هاوزر

الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتي

اهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم

الله
تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجي زيدان

نساء النبي
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

تائرون
تأليف محمود تيمور

زهرة العمر
تأليف توفيق الحكيم

هذا مذهبي
بأقلام نخبة من الشرق والغرب

غادة النيل
تأليف اميل لودفيج

طريق السعادة
تأليف فيكتور بوشيه

مطلع النور
تأليف عباس محمود العقاد

يوميات نائب فى الارياف
تأليف توفيق الحكيم

ألف ليلة وليلة
(الجزء الاول)

عبقرية الصديق
تأليف عباس محمود العقاد

ألف ليلة وليلة
(الجزء الثانى)

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب « المبتديان » بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبي دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية شارع المتنبي ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكي ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميع المكتبات الشهيرة واكشاك الصحف ، ما عدا الكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الكشف

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان	:	شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
العراق	:	السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد
اللاذقية	:	السيد نخلة سكاف
مكة المكرمة	:	السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٩٧
البحرين والخليج الفارسى	:	السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين
ساحل الذهب	:	The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
نيجيريا	:	Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
انجلترا	:	مكتب توزيع المطبوعات العربية Arabic Publications Distribution Bureau 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London S.E. 26, England.

هذا الكتاب

اخترنا لهذا الكتاب اسم « مدرسة الشيطان » . وقد راى المؤلف ان هذا الاسم يتفق حقا وما حواه من قصص شائق وحوار رائع ، وانتاج فنى هو من وحى شيطان الفن ومن صنعه وابداعه . فكتب فى مقدمته يفسر المقصود من هذه التسمية ، وبأن الغرض من الشيطان ومدرسة الشيطان هو شيطان الفن ، ومدرسة شيطان الفن

ولا ريب ان الفنانين لا يستلهمون ابليس ، لانه وان كان فنانا قديما ، فهو فنان فى الشر . اما شيطان الفن فهو فنان فى الخير ، يفتح ابواب المعرفة ، ويسمو بالانسان الى الحق ويهدى البشر الى نعيم العقل ولذة الروح ، فيعيشون فى آفاق الفكر ، ورفعة النفس ، وينعمون بألوان الجمال

وكذلك كان الاستاذ توفيق الحكيم فى هذا الكتاب الطريف الذى أوحى اليه شيطان الفن بكل ما فيه من قصص بديع ، وحوار جميل ، وافكار صائبة ولفتات اجتماعية وادبية سديدة ، وابتكار يتسم بالبراعة والابداع

